جاسوس من الصرب

فؤاد حسين



فؤاد حسين

جاسوس من الصرب



دار النشر هاتييه

دار النشر هاتييه
١٠ ش أبى إمامة ـ الدقى ـ القاهرة
٣٤٨١٩٦٩ ـ ٣٤٨٦٩٧٠ ـ ٣٤٩١٥٩٧

الإهـداء

إلى فلذات كبدى ....

الذين أعيش من أجلهم

وأتحرق شوقاً إليهم

وأفزع خوفا عليهم

وأذوب حباً فيهم.

مقدمة

بين يديك أيها القارئ الكريم قصة واقعية لجاسوس محترف ...!!

تعلم فنون التجسس وتدرب في بلده على أعمال المخابرات حتى وصل إلى أعلى المستويات الفنية ، ليكون أحد مصادرها في جميع المعلومات تحت ساتر دبلوماسي ، وليعمل بمكاتب الملحقين العسكريين الملحقة بسفارات هذه الدولة بالخارج ..

ولكنه مع مرور الوقت وازدياد خبرته العملية في هذا المجال، وبدلا من أن يحترف المهنة لصالح دولته .. امتهن التجسس لصالحه .. وأنشأ لنفسه وكالة خاصة لبيع المعلومات التي يحصل عليها لمن يدفع الثمن!!!..

وقد ساقه قدره إلى مصر التي سعى جاهداً للعمل فيها ظناً منه أنها وكر ممتاز لمزاولة تجارته الرابحة، خصوصاً في هذا الوقت الذي كانت فيه منطقة الشرق الأوسط تعاني من اضطرابات وحروب ووصلت أزمتها إلى حد فاق كل التوقعات باحتلال إسرائيل لأراضي عدة دول بها، علاوة على ابتلاع كل الأرض الفلسطينية بعد عام ١٩٦٧ ..

ولم يكن يدري - بطبيعة الحال ـ أنه ذهب إلى النهاية ، وأن أرض الفراعنة التي تمناها وسعى إليها هي المحطة الأخيرة لقطار الخيانة الذي كان يقوده بسرعة فائقة .. وكان بذلك أول حالة في التاريخ القريب المعروف لدبلوماسي يطرد من الدولة المعتمد لديها بعد إدانته بتهمة التجسس ويعود إلى بلاده ليحاكم فيها أيضاً بتهمة التجسس...

ولأول مرة أيضاً يصل إلى المخابرات المصرية خطاب شكر من جهاز مخابرات أجنبى يثنى على جهودها فى القبض على جاسوس داخل أراضيها .. كانت تكرس كل إمكانياتها لكشف النقاب عن شخصيته، وحل أحد الألغاز التى حيرتها لمدة طويلة.

– وكان نجاح المخابرات في القبض على هذه الشبكة الخطيرة من شبكات التجسس هو أحد الركائز الهامة التى ساعدت على انتصارنا العظيم فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة .

المؤلف

الطفل المدلل :

كان فاسيل طفلاً مدللاً بمعنى الكلمة ، يتمتع بحب ورعاية واهتمام فائق .. ليس فقط من والده ووالدته وإخوته ؛ لكن من جميع أفراد الأسرة، فقد حباه الله سبحانه وتعالى بجمال أخاذ ووجه باسم مشرق وذكاء فطرى ملفت للأنظار ، مع خفة ظل وقبول غريب يجعله يدخل إلى قلب أى شخص يراه من اللحظة الأولى ..

وعلاوة على كل هذه الصفات الطبيعية ، فهو الطفل الذكر الوحيد مع ثلاث أناث أكبر منه سناً لوالده بيجانوفيتش ووالدته السيدة دينا..!!!

ولما كان ترتيبه الرابع ضمن أولاد السيد/بيجانوفيتش ، فقد زاد ذلك من الاهتمام به ، وزيادة جرعة التدليل التى يحصل عليها بصفته (آخر العنقود) الذى جاء إلى الحياة بعد اشتياق ورغبة عارمة من والديه أن يكون لهما ولد بعد إنجابهما للبنات الثلاث ..

كان ميلاد فاسيل بيجانوفيتش فى عام ١٩٣٤ ميلادية فى مدينة سيراييفو عاصمة البوسنة والهرسك ، وهى إحدى جمهوريات دولة يوغوسلافيا الاتحادية سابقاً .. هذه المدينة العريقة التى دخل اسمها التاريخ عام ١٩١٤ - أى قبل عشرين عاماً بالضبط من ولادة فاسيل عندما أطلق شاب من شبابها النار من فوق أحد الجسور العتيقة بالمدينة على ولى عهد النمسا / الأمير فرديناند وريث الامبراطورية النمساوية وزوجته الأميرة / صوفيا عندما كانا فى زيارة رسمية للمدينة فى الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٩١٤ فأصابهما بإصابات قاتلة،

حيث مات الزوجان معاً فى مشهد درامى مثير .. وكان موتهما هو الشرارة التى أشعلت نيران الحرب العالمية الأولى ، حيث وجه الامبراطور فرانز جوزيف والد الأمير فرديناند إنذارا شديد اللهجة إلى حكومة الصرب فى بلجراد ، صيغ بعبارات استهدفت رفضه .. وعندما رفض هذا الإنذار ، أعلنت النمسا الحرب على الصرب بعد ثمانية وأربعين ساعة فقط من الإنذار ، حيث بدأت الحرب العالمية الأولى والتى راح ضحيتها الملايين من أبناء أوربا ..

كانت والدة فاسيل السيدة دينا فازليتش من أجمل فتيات مدينة سيراييفو بلا منازع .. وبالرغم من حالة الفقر والبؤس التى كانت تعانيها أسرتها المهاجرة من ألبانيا .. إلا أن جمالها الصارخ لفت إليها أنظار العديد من شباب المنطقة التى كانت تقيم بها من ذوى النفوذ والجاه والمناصب الرفيعة وكذا العائلات العريقة .. ولكنها فضلت عليهم جميعاً العامل الفنى البسيط بيجانوفيتش الذى يعمل فى محطة الكهرباء الرئيسية فى سيراييفو والذى كان يبادلها نفس الإعجاب والحب ..

كان السيد / بيجانوفيتش ، والد فاسيل من أهالى الصرب المسيحيين، وكانت أسرته تسكن فى قرية صغيرة بجوار بلجراد ، ولكن ظروف عمله اضطرته إلى الإقامة فى سيراييفو ، عاصمة البوسنة والهرسك أو هرزجوفينيا كما يسميها أهالى المنطقة ..

أما أسرة السيدة/ دينا والدة فاسيل فكانت من قرية ألبانية نائية على حدود مملكة الجبل الأسود المتاخمة لألبانيا ، وكانت السلالة القديمة

لهذه الأسرة تعتنق الدين الإسلامى.. ثم ارتدت إلى النصرانية خوفاً من الإبادة على يد قوات الجيش الأسود التى قامت بمذبحة عام ١٧١١ ضد المسلمين من أصل بوسنوى أو ألبانى لإعادتهم إلى النصرانية .. وقد قتل فى هذه الحملة الشرسة الآلاف من المسلمين، وتم تهجير مجموعات كبيرة منهم بالقوة إلى رومانيا عن طريق نهر الدانوب ، وقد استطاع حكام جنوب الجبل الأسود تنصير عشرات القبائل والعائلات المسلمة بصورة جماعية بحضور القساوسة والأعيان ورجال الشرطة والجيش ومندوب الملك .

وقد صدرت فتوى من مفتى المسلمين فى ذلك الوقت بجواز قبول التنصير مؤقتا حقنا للدماء بشرط البقاء على الإسلام فى القلب!!.. وقد عمل كثير من الناس برأى المفتى ، ولكن مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال والتغييرات السياسية والاجتماعية التى حدثت ودخول الشيوعية ، فقد تغيرت الكثير من المفاهيم لدى الشعب فى كلا الجانبين الألبانى واليوغوسلافى ، وذابت الأديان فى بحور الشيوعية والاشتراكية التى انتشرت فى هذه البلاد من أوربا الشرقية بصورة كبيرة..

كان فاسيل بيجانوفيتش هو آخر ثمار الزواج الذى تم بين والده ووالدته السيدة دينا .. ولكونه الابن الوحيد الذكر لهذا العامل المكافح بيجانوفيتش فقد حظى باهتمام بالغ من والده الذى أراد أن يعلمه أحسن تعليم لكى يصبح فى منصب مرموق فى الدولة بعد أن يحصل على أعلى الشهادات الدراسية التى حرم هو من الحصول

عليها .. ولكى يصبح فى مركز هام وليس عاملاً فنياً مغموراً مثله !!.

ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية التى اندلعت عام ١٩٣٩ حالت دون تحقيق رغبات وآمال الأب بيجانوفيتش ، فقد احتل الألمان يوغسلافيا عام ١٩٤١ وظلت كذلك تحت الاحتلال النازى إلى أن أعلن استقلالها بعد الحرب كجمهورية شعبية فيدرالية .. وتغيرت أحوال هذه الدولة ، كما تغير حال تلك الأسرة الصغيرة ..

كانت فترة الاحتلال النازى ليوغوسلافيا فترة قاسية ، ذاق خلالها جميع أفراد الشعب مرارة الذل والخوف ، وتوقفت الدراسة بالمدارس والمعاهد المختلفة ، واتجه الشعب بكل طوائفه من الرجال والنساء .. الشباب والشيوخ إلى الانضمام لفصائل المقاومة الشعبية التى كانت تقوم بعمليات فدائية ضد المحتلين الألمان .

– وكان والد فاسيل أحد قادة المقاومة الشعبية .. ولم يكن نجله الوحيد قد تجاوز سن السابعة من عمره ، وكان يتنقل معه من مكان لآخر ، فلم يكن يستقر أكثر من أسبوع فى منزل معين ، وسرعان ما ينتقل هو وزوجته وأولاده إلى مكان آخر خوفاً من بطش رجال الاحتلال الألمان ، وهروباً من مخابرات النازى (الجستابو) التى كانت تبحث عنه فى كل مكان .. لذلك فقد عرف فاسيل الخوف والرعب وعدم الأمان منذ صغره وقد استقر هذا الشعور فى داخله حتى النهاية ..

شاهد فاسيل السلاح والذخيرة قبل أن يشاهد الكتاب والكراسة ، وكان يسمع ويتعلم بأذنيه قبل أن يقرأ بعينيه .. فلم ينتظم فى الدراسة

إلا عندما بلغ العاشرة من عمره - أى فى عام ١٩٤٤ - وكانت الحرب العالمية الثانية توشك أن تضع أوزارها .. وكانت سلاسل وقيود الاحتلال النازى توشك أن تنفرط ..

- وبدأ فاسيل يتعلم القراءة والكتابة فى أول خطواته الدراسية التى لم تكن منتظمة بل كانت متقطعة .. ورغم تأخره فى الالتحاق بالمدارس وبداية تحصيله العلم إلا أنه ظهر واضحاً ذكاؤه الخارق واستيعابه لدروسه بشكل ملحوظ ، ولم يمر على التحاقه بالتعليم سوى فترة بسيطة حتى برز بين نظرائه من الطلبة بتفوقه فى الدراسة ونشاطه فى تحصيل العلم .. وبعد انتهاء دراسته الثانوية - وكانت يوغوسلافيا قد حصلت على استقلالها - التحق فاسيل بالقوات المسلحة وانضم إلى سلك العسكريين بناء على توجيهات وإلحاح من والده .. فقد كانت القوات المسلحة هى أقصر الطرق وأيسرها للوصول الى الغرض الذى ينشده لنجله الوحيد فاسيل ويحقق رغبته فى أن يصبح شخصا مرموقا فى الدولة .. وقد ساعده على ذلك انخراط والده فى صفوف الحزب الشيوعى اليوغوسلافى ، ولكونه أحد قادة المقاومة الشعبية اليوغوسلافية التى لم تأخذ حقها المناسب فى سجل التاريخ المعاصر ، فلم تبلغ ضراوة المقاومة ضد الاحتلال النازى - أيا كان نوعه - فى أى دولة أوربية أخرى احتلها الألمان وحلفاؤهم ، مثلما كانت فى يوغوسلافيا، ومن هنا لم يرتفع العلم ذو الصليب المعقوف الذى يمثل (النازى) طويلاً فى سماء يوغوسلافيا .

- وحتى فى يوم عقد الاتفاقية مع الألمان قبل انسحابهم وقع

هجوم على مركز القيادة الألمانى، ومزقت الأعلام النازية وأشعلت فيها النيران، ونظم المئات من الشباب فيما بينهم جماعات صغيرة انطلقت فى العاصمة بلجراد تهاجم مواقع الجيش المحتل وتقتل المتعاونين معهم .

كانت وسامة وذكاء فاسيل بيجانوفيتش هما جواز سفره داخل القوات المسلحة اليوغوسلافية التى اهتم بها المارشال تيتو بعد الحرب العالمية الثانية وحصولها على الاستقلال .. وبالإضافة إلى النبوغ والذكاء والوسامة كان هناك – بطبيعة الحال – أيضاً مركز والده فى الحزب الاشتراكى اليوغوسلافى الذى تدرج فيه ليصبح رئيساً لإحدى لجانه الفرعية .. كما كان اسم بيجانوفيتش – العامل البسيط فى محطة الكهرباء – يتردد بصفة مستمرة عند ذكر قادة المقاومة الشعبية فى يوغوسلافيا .. وكان لذلك بلا شك تأثير قوى على نجله الذى انخرط فى سلك الجندية .. فقد كانت سمعة والده تضيف بريقاً إلى شخصيته وتدفعه دفعاً إلى الصفوف الأولى وإلى المراكز المتقدمة التى ينشدها ..

الضابط "فاسيل "

تخرج فاسيل عام ١٩٦١ من الكلية العسكرية ليصبح ضابطاً فى الجيش اليوغوسلافى فى نفس العام الذى عقد فيه اجتماع دول عدم الانحياز فى بلجراد بزعامة الرئيس تيتو والرئيس جمال عبد الناصر وجواهر لال نهرو .. وهو أول اجتماع يطلق فيه اسم دول عدم

الانحياز بعد اجتماع باندونج بأندونيسيا والذى كان فيه اللقاء الأول لتلك الدول تحت اسم الدول الأسيوية الأفريقية والذى وضع بذرته الأساسية الزعماء الثلاثة فى جزيرة بريونى اليوغوسلافية أيضاً عام ١٩٥٦ ..

التحق الضابط فاسيل بسلاح الاستطلاع ، وبعد دورة طويلة للعلوم الأساسية انضم إلى إدارة الملحقين العسكريين فى الخارج .. وهى إدارة خاصة يعمل بها ضباط من أسلحة مختلفة فى القوات المسلحة من الجيش والبحرية والقوات الجوية والدفاع الجوى - وهى تتبع أو تشرف عليها المخابرات اليوغوسلافية .. ولكونها إدارة متميزة فلم يكن يلحق بها إلا الضباط الأكفاء من تلك الأسلحة المختلفة الذين ترشحهم أسلحتهم بعد عمل دراسات كاملة عنهم ، وتحريات تشمل جميع جوانب حياتهم وحياة أسرهم .

- كما تعقد لهم اختبارات متعددة منها النفسانى والقانونى ، علاوة على المعلومات العامة واللغة الأجنبية الإضافية واختبارات فى الذكاء وقياس القدرات المختلفة ، وفى النهاية يكون المجموع الكلى للدرجات مضافاً إليه المظهر العام أو كشف الهيئة - كما هو معروف عندنا - ودرجة الولاء .. وترشيح الرؤساء هو الفيصل فى إلحاق الضابط بهذه الإدارة الهامة .. ويستمر الضابط فى هذه الإدارة طوال فترة خدمته العملية - مالم يحدث منه ما يشينه ، أو يرتكب خطأ مقصوداً يؤثر على العمل - ويتدرج فى الترقى حسب السلم الوظيفى العادى لضباط القوات المسلحة إلى الرتب الأعلى حسب تقاريره

السرية من رؤسائه .. وبطبيعة الحال تكون خدمته فى معظمها خارج يوغوسلافيا كعضو بأحد المكاتب العسكرية التابعة للسفارات اليوغوسلافية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم ..

ويقوم نظام العمل فى هذه المكاتب العسكرية على تدرج المهن والوظائف للضباط العاملين بها .. حيث تبدأ من موظف بسيط فى الأرشيف أو سائق سيارة أو فرد أمن عادى للسفارة أو حارس خاص للسفير أو للملحق الحربى ، ثم ملحق حربى – سواء ملحق برى أو جوى أو بحرى حسب خبرته وتخصصه – ثم فى النهاية يرقى إلى ملحق الدفاع والذى يتبع له باقى الملحقين ومساعديهم جميعاً .. وعادة يكون عمل الضابط فى هذه الوظائف الدنيا فى أول حياتهم العملية بالخارج بغير الصفة الدبلوماسية– أى لايحملون جوازات سفر دبلوماسية ، إلى أن يبدأ فى شغل الوظائف بالصفة الدبلوماسية اعتباراً من وظيفة مساعد ملحق حربى .

كما ينص قانون العمل فى هذه الإدارة على أن مدة الخدمة فى كل سفارة بالخارج هى ثلاث سنوات فقط يعود بعدها الشخص إلى الوطن لمدة عام واحد يعاد خلاله تدريبه وتأهيله وتجهيزه بالمعلومات اللازمة لاستئناف عمله فى المكان الجديد أو الدولة الأخرى التى سيعمل فيها والتى تكون معروفة ومحددة له قبل عودته من البلد الأول – وهكذا ....

ولتسهيل وتنظيم العمل داخل إدارة الملحقين اليوغوسلافية ، قام

المسئولون بتقسيمها إلى أقسام فرعية ونوعية .. فكل قسم يضم مجموعة من الدول المتجانسة أو المتشابهة من حيث الموقع واللغة والعادات والتقاليد حتى يتمكن العاملون فى هذا المجال من زيادة احترافهم ولتسهيل عملهم ، وحتى يتمكنوا من دراسة لغة واحدة أو لغتين على الأكثر ، ويتفهموا أسلوب التعامل مع شعوب هذه الدول كما يكونوا على دراية كاملة بمشاكلها والصراعات القائمة فيها .. وقد انضم فاسيل إلى القسم المسئول عن دول الشرق الأوسط على غير رغبته أو اختياره – ولذا بدأ فى دراسة اللغة العربية قراءة وكتابة فى دورة تدريبية مكثفة ألزمته بها إدارته الجديدة ..

كان فاسيل بيجانوفيتش طموحاً إلى أقصى درجة ، محباً لحياة الترف واللهو والمرح ، وكان بطبيعة الحال شيوعياً لا يؤمن بالأديان السماوية عموماً . وبالرغم من أصل وسلالة أسرة والده الصربى مسيحية ، وأصل وسلالة أسرة والدته الألبانية مسلمة .. إلا أنه لم يقرأ عن أى من هذه الأديان ، ولايعرف عنها شيئاً .. فهم جميعاً – هو وأسرته – يعتنقون المذهب الشيوعى الاشتراكى اللادينى .. وهو بالذات لم يفكر أو يحاول دراسة أى من هذه الأديان السماوية المعروفة.. بل على العكس تماماً كان فى داخله رفض غريب لهذه الأديان !! وكان يستهزئ بها علناً ، ويعتبرها نوعاً من التخلف وعودة الى عصور ما قبل التاريخ ..

وكان فى المقابل ملماً إلى درجة كبيرة بمبادئ الشيوعية ويحفظها عن ظهر قلب – ليس إيماناً بها – ولكنه واجب فرض عليه من

خلال دراسته ، ووسيلة هامة من وسائل استمراره فى العمل وتدرجه فى الوظائف العليا .. فهو لم يكن مقتنعاً بمبادئها التى يحفظها ويجيد النقاش فيها وإقناع الآخرين بها ..

لقد كان فاسيل يتطلع إلى حياة الغرب الذى شب ونشأ على كراهيته .

– لقد أفرزت كل هذه التناقضات المذهبية ، وكل هذه الاختلافات الدينية والروحانية بداخله شخصا أنانيا ، بلا نظرية .. فالشخص الوحيد الذى يؤمن به هو نفسه .. والشىء الوحيد الذى يعشقه هو روحه .. وأصبحت المادة هى محركه الأساسى وتنحصر فيها كل تطلعاته !!..

وتحول هذا الشاب .. الوسيم المظهر .. الجميل الصورة إلى تمثال من الشمع لاحياة فيه ولاروح .. بلا إحساس أو مشاعر بل مجرد آلة تعمل لتعيش !!..

الانطلاقة الأولى :

لم يتزوج فاسيل رغم بلوغه سن الثلاثين من عمره ، ورغم إلحاح والده ووالدته لحثه على الزواج من أية فتاة يختارها .. فكان يماطلهم ويراوغ فى اتخاذ قرار الزواج متعللاً بحجج مختلفة .. كما كان يراوغ رئيسه فى العمل عندما يسأله عن السبب فى عدم الزواج .. وعندما ينصحه رئيسه بالإقبال على الزواج قبل أن تتقرر إعارته لأى بلد خارجى حيث يفضل أن يكون الضابط متزوجاً قبل خروجه من

يوغوسلافيا وقبل ممارسته لحياته العملية بالخارج تفادياً لأية مشاكل قد تحدث ، وحتى تساعده زوجته فى تحمل أعباء المعيشة وهدوء الأعصاب ، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للعلاقات الاجتماعية التى تساعد على جمع المعلومات .. وكان فاسيل يقنع رئيسه فى كل مرة أنه يعتزم الزواج من إحدى صديقاته التى تربطه بها علاقة حب قوية وأنه لاينقصه إلا عرض الزواج عليها .. واستمر على هذا الحال من المماطلة والمراوغة حتى حانت له أول فرصة للسفر إلى الخارج بعد خمس سنوات كاملة قضاها فى تدريب مستمر وعمل شاق فى تلك الوحدة الهامة التى يعمل بها والتى عليها تقع مسئوليات جسيمة فى جمع المعلومات المطلوبة للمخابرات اليوغوسلافية ، والتى لها مزايا عديدة عن باقى الوحدات والإدارات فى الجيش اليوغوسلافى ، والدولة عموماً ..

جاء أول تعيين لفاسيل خارج بلاده فى لبنان .. ولم يتحمس كثيراً للسفر إلى هذا المكان الجديد .. فقد كانت آماله أن يبدأ حياته العملية خارج بلاده فى إحدى دول أوربا الغربية أو الولايات المتحدة الأمريكية حيث مجال العمل فى تلك الدول لا حدود له .. بالإضافة إلى أن كل دراساته وأهداف جهازه تنصب على جمع المعلومات عن دول حلف الأطلنطى لكونها العدو الأول للدول الشيوعية عموماً ، والدول الممثلة فى حلف وارسو بصفة خاصة .. وكان فاسيل وزملاؤه يعرفون الكثير عن دول الغرب وأمريكا وتعايشوا مع أحداثها وأماكنها كأنهم أقاموا بها .. فكانت حواسه متعلقة بهذا

العالم المجهول الذى رآه من خلال قراءاته والأفلام التى شاهدها عنه، وكان يرغب فى رؤيتها رأى العين !!..

كان فاسيل يود فى قرارة نفسه أن يعمل بسفارة بلاده فى روما ، فهو يجيد التحدث باللغة الإيطالية وبطلاقة .. بالرغم من أنه لم يدرسها فى أى معهد أو مدرسة ، لكنه تعلمها من خلال صداقاته مع السائحين والسائحات الإيطاليين الذين كانوا يترددون بصفة مستمرة على الشواطئ اليوغوسلافية القريبة من إيطاليا خلال فصل الصيف وبالذات فى شهر أغسطس من كل عام فى أجازاتهم السنوية والتى عادة مايقضيها الإيطاليون خارج بلادهم .. فقد كانت الشواطئ اليوغوسلافية تجذبهم إليها نظراً لرخص الأسعار فى الدول الشيوعية بالإضافة إلى قرب المسافة والتى لاتستغرق سبع ساعات وهى المدة التى تجتاز فيها العبّارات المسافة من الشاطئ الإيطالى إلى الشاطئ اليوغوسلافى عبر البحر الأدرياتيكى ..

ومما زاد من ضيقه بهذا المكان الجديد أنه أرغم على دراسة اللغة العربية فى دورة إجبارية لمدة ستة أشهر كاملة فى أحد المعاهد المتخصصة فى اللغات والتابعة لوزارة الخارجية اليوغوسلافية فى بلجراد.. وبالرغم من أنه كان يجيد اللغة الفرنسية واللغة الإيطالية ، وقليلاً من الإنجليزية ، إلا أنه كان لزاماً عليه معرفة لغة الدولة التى سيخدم بها ، أو على الأقل معرفة مبادئ هذه اللغة وبعض الكلمات التى تساعده على الحياة الاجتماعية بها ..

كان فاسيل يتردد على معهد اللغات يومياً لتلقى دروس اللغة

العربية ويحيط بمبادئها ، وكان يجد صعوبة فى نطق الحروف والكلمات العربية ، أما حالته النفسية فى هذه الفترة فلم تكن على مايرام .. حيث كان تفكيره مشتتاً بين العمل ، والمكان الجديد الذى سيسافر إليه – والذى لم يصادف هوى نفسه – وبين محاولته لتغيير هذا التعيين ليكون فى مكان آخر فى دولة أوروبية بالرغم من صعوبة تحقيق ذلك عملياً نظراً لأنه يعمل فى القسم الخاص بالشرق الأوسط وبين ملل الدراسة اليومية للغة التى لايستسيغها .. لذلك فقد كان يقبل يوميا على تلقى الدروس بلا حماس .. ولم يخفف من همومه إلا المجموعة الجديدة التى انضم إليها فى معهد اللغات ، والتى حسنت كثيراً من حالته النفسية ، إذ كانت هذه المجموعة متجانسة مرحة ، مقبلة على دراسة اللغة العربية بحماس بخلافه هو، وبالذات جوفانكا الموظفة بوزارة الخارجية والتى كانت تدرس أيضاً اللغة العربية فى نفس المعهد ، وكانت أكثر المجموعة مرحاً وأبرزهم توددا إليه .. فكان يستريح للحديث معها ، حتى توطدت الصداقة بينهما إلى أقصى درجة .. ولم تقتصر مقابلاتهما على اللقاء فى المعهد فى فترة الدراسة الصباحية ، بل تعدتها إلى مقابلات بعد الظهر وفى الإجازات الأسبوعية التى كانا يقضيانها معاً .. وبالرغم من أن فاسيل كانت له صداقات عديدة مع فتيات أخريات ، إلا أنه لم يكن مرتبطاً بأى منهن ارتباطاً وثيقاً أوجاداً بل كانت كلها صداقات عابرة ، مختلفة الأغراض .. أما جوفانكا التى تبلغ من العمر ٢٥ عاماً فقد شعر فاسيل تجاهها بشىء مختلف.. فرجاحة عقلها ومعلوماتها العامة

الواسعة فى شتى المجالات أشعرته أنه أمام فتاة كاملة ومختلفة عن سواها من الفتيات .. جمال هادئ .. طموح وتفاؤل غير طبيعى بالحياة .. ثقافة واطلاع لاحدود لها .. فكانت الأقرب إلى عقله وقلبه ..

كانت جوفانكا - وهو اسم كان منتشراً فى يوغوسلافيا فى تلك الفترة بعد أن تزوج المارشال / تيتو رئيس البلاد من زوجته الثالثة عام ١٩٥٢ والتى كانت تحمل نفس الاسم - كانت هى الوحيدة التى شجعته وجددت تفاؤله بالمكان الجديد الذى سيذهب إليه فى لبنان .. وكانت معلوماتها عن لبنان غزيرة جداً - ليس فقط من قراءاتها الشخصية أو من خلال عملها بوزارة الخارجية - لكن لأنها قامت بزيارتها قبل ذلك بعامين وتجولت فيها من الشمال إلى الجنوب، وكانت لها ذكريات جميلة فى بيروت وجبال لبنان .. وقد نقلت هذا الانطباع بصراحة ووضوح وحب إلى فاسيل ..

كانت جوفانكا تحكى له بصفة مستمرة عن لبنان وكأنها تقرأ كتاباً مفتوحاً أمام عينيها ، فتحكى له عن تلك البلاد وجمالها وعن الناس وطباعهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وفى نفس الوقت تحكى له عن التاريخ وصراعات القوى فى لبنان بتمعن، كأنما هى شهرزاد تسرد قصة جميلة من قصصها الكثيرة إلى شهريار - لذلك ازداد إعجاب فاسيل بجوفانكا وازداد التصاقه بها ، وتعددت لقاءاتهما وتطورت فى نفس الوقت الذى ازداد فيه حماسه لتعلم اللغة العربية وتقدم فيها

بشكل ملحوظ ، فهو ذكى بطبيعته ، لكنه لم يكن قد استغل ذكاءه بعد فى دراسة اللغة العربية حتى استطاعت جوفانكا أن تحببه فى لبنان قبل أن يراها ، وتشجعه على العمل فى هذا المكان الجديد قبل أن يذهب إليه ..

وانتهت فترة الدراسة – ستة أشهر – بأسرع مما كان يتخيل .. وكان هناك اختلاف واضح بين الدورة التدريبية ونهايتها .. إذ كان فى البداية غير متحمس ومكتئب.. وفى النهاية كان متفائلاً مستبشراً.. وخرج من الدورة التعليمية بلغة جديدة هى من أعظم اللغات السامية.. كما حظى بفتاة اعتبرها من وجهة نظره أكثر فتاة رآها جاذبية وثقافة.. وبالرغم من أنهما كانا متشابهين فى الكثير من الصفات والعادات ، إلا أنه كرجل كان أنانيا فى حبه عمليا فى تصرفاته ، يحب النجاح والشهرة والخيال – وهى كلها مسائل تجريدية – أما هى فكانت بداخلها أنثى بمعنى الكلمة .. عاطفية .. حنونة .. تحب الأسرة والأطفال والمنزل – وهى كلها أشياء مجسدة – ومع ذلك كان الانجذاب بينهما كبيراً حسب النظرية المغناطيسية التى تجعل الأقطاب المتشابهة تتنافر والأقطاب المختلفة تتجاذب ..

استمرت لقاءات فاسيل وجوفانكا حتى بعد عودة كل منهما إلى عمله الأصلى .. وبدأ هو فى إعداد نفسه للسفر الطويل والبعيد .. وفى لقائهما الأخير فى أحد المطاعم الفاخرة بالعاصمة بلجراد .. كانت النظرات أطول والكلام قصيرا .. وانتهى اللقاء دون وعود أو

عهود – ليس كما نرى فى أفلامنا المصرية – ولكنهما اتفقا على أن يكتب كل منهما للآخر بصفة مستمرة .. وأن تراه فى أول إجازة يعود فيها إلى أرض الوطن ..

كان فاسيل مضطرباً فى أيامه الأخيرة قبل السفر ، وبدا ذلك واضحاً عليه بشكل ملحوظ غلب على تصرفاته .. كان قليل الكلام.. قليل النوم .. قليل الأكل .. وكان كل شاغله هو العالم المجهول الذى سينطلق إليه ، ومدى نجاحه فيه ، وكيف يمكنه الاستفادة من هذا المكان إلى أقصى درجة .. وقبل سفره بعدة أيام أقام له والده ووالدته حفل وداع عائلى صغير ، واجتمعت الأسرة على مائدة العشاء .

لم تكن أسرة بيجانوفيتش فى ذلك الوقت كسابق عهدها مكونة من ستة أشخاص ، لكنها زادت إلى الضعف بعد زواج بناته الثلاث وإنجاب اثنتين منهن لثلاثة أحفاد ليصبح عدد أفراد الأسرة دستة كاملة من الأولاد والأزواج والأحفاد ...

كانت السعادة تغمر بيجانوفيتش العجوز وهو يرى ابنه الوحيد على مشارف حياة جديدة ومستقبل زاهر متفتح ، ومركز مرموق ، وأحس أن الحياة قد منحته كل ما يريد .. وكاد قلبه أن يتوقف من السعادة ، ووقف يخطب فى أبنائه وأحفاده .. كأنها خطبة الوداع .. فقال : «لقد أخذت من الدنيا كل شىء .. أحببت عملى البسيط واحترمته فأعطانى .. وأحببت وطنى وحاربت من أجله فأوفى لى .. وأحببت

زوجتى الجميلة وأبنائى .. وهأنذا أرى ثمار حبى وجهدى» .

وشرب الجميع نخب فاسيل وتمنوا له التوفيق فى عمله الجديد .

فى أحضان بيروت

سافر فاسيل إلى بيروت فى إحدى الليالى الحارة من صيف عام ١٩٦٦ لاستلام مهام منصبه الجديد لأول مرة خارج بلاده .. وكانت بيروت فى ذلك الوقت هى عروس البحر الأبيض المتوسط بلا منازع ، ومركز للإشعاع الثقافى والإعلامى فى المنطقة .. ومرتع خصب لجميع أجهزة المخابرات فى العالم !! .. فهى مركز معلومات الشرق الأوسط - لذلك أنشئت فيها مكاتب متقدمة لمعظم أجهزة المخابرات - فالحياة بها سهلة ومميزة ، والتكاليف رخيصة .. وكل شىء فى ذلك الوقت مباح فى لبنان .. فليست هناك أية عقبات لمن يريد العمل فى أى مجال .. فالسفر منها وإليها متعدد الوسائل والطرق.. والشركات والرحلات والاتصالات التليفونية وغيرها متوفرة وجيدة مع جميع دول العالم .. والرقابة معدومة على المواطنين والأجانب - بعكس باقى دول المنطقة فى ذلك الوقت!.. وفى بيروت يمكنك شراء أى شىء طالما أنك تملك الثمن !!..

كانت بيروت تجذب إليها الأنظار والاستثمارات والسياح وكذلك المخابرات - وقد سرقت الأضواء من القاهرة التى كانت الإقامة بها فى تلك الفترة من الستينات لاتطاق بالنسبة للأجانب .. فالرقابة

عليهم مشددة .. والاتصالات التليفونية مع جميع دول العالم شبه مستحيلة ومراقبة .. وكان من الأسهل على رجال الأعمال أو الأجانب أو المستثمرين المقيمين فى مصر إذا أرادوا الاتصال بشركائهم أوببلادهم فى أوربا أن يسافروا إلى بيروت أو قبرص لإجراء هذا الاتصال التليفونى ثم العودة مرة أخرى إلى القاهرة !!!.. كان ذلك أسهل لهم كثيراً من انتظار مكالمة عن طريق السنترال يمكن أن تمتد إلى عدة أيام .. أو لا تأتى على الإطلاق !!!..

وجاء وصول فاسيل إلى بيروت فى إحدى الأمسيات الصيفية الجميلة.. فكان استقبالها له معطراً ، وانطباعه الأول عنها كان بديعاً.. فبالرغم من أن مشاعره وأحاسيسه فى ذلك الوقت كانت تميل إلى الاكتئاب ، وكانت أعصابه متوترة .. إلا أنه شعر بالهدوء منذ أول لحظة وطأت فيها قدمه أرض لبنان .. وكانت بيروت بكل المقاييس مبهرة للضابط الشاب فاسيل ، فهى نموذج فريد من المدن ونمط غريب من الحياة لم يألفه فى بلاده .. فمقاهى بيروت وكازينوهاتها تعمل ليل نهار .. فهى مدينة لاتنام .. كذلك البشر الذين قابلهم أو تعامل معهم فى بداية حياته فى هذه المدينة الغريبة عنه ، فهم يختلفون كل الاختلاف عمن كان يقابلهم ويتعامل معهم فى بلجراد .. أوغيرها .. فالود طبعهم ، والبشاشة فى وجوههم سمة من سماتهم.. والمرح والمزاح عادة من عاداتهم ..

وفى السفارة اليوغوسلافية فى بيروت بدأ فاسيل عمله كملحق

إدارى فى مكتب الملحق الحربى اليوغوسلافى ببيروت .. وبالرغم من أنها وظيفة ممتازة ومرموقة بعض الشيء بالنسبة له - كونه لايزال فى بداية حياته العملية .. وبصفته معين فيها لأول مرة خارج بلاده ـ إلا أنها لم تكن لها صفة الدبلوماسية نظرا لتواجد عدد لا بأس به من الضباط اليوغوسلاف فى السفارة ببيروت وجميعهم أكبر منه رتبة وأكثر خبرة وبصفته أعزب ولم يتزوج بعد ، فقد تقاسم شقة مفروشة متواضعة مع زميل آخر له بمنطقة الصنايع غرب بيروت ، وكانت السفارة تستأجرها بصفة مستمرة بإيجار سنوى ليقيم بها موظفوها من هذه الدرجة مقابل خصم مبلغ معين من راتبهم نظير هذه الإقامة ..

كان زميل فاسيل وشريكه فى السكن يدعى نرمين ، وهو أيضاً من رجال المخابرات اليوغوسلافية بالسفارة ويعمل كحارس خاص للسفير.. ولكونه غير متزوج أيضاً ، فقد وقع عليه الاختيار للإقامة مع فاسيل فى نفس الشقة ، وكان نرمين لايزال جديداً فى هذا العمل أيضاً حيث وصل إلى بيروت قبل ستة أشهر فقط من وصول فاسيل .. ولم يكن الاثنان يتقابلان كثيراً فى السكن نظراً لاختلاف مواعيد وطبيعة عمل كل منهما .. إلا أنهما كانا يخرجان سوياً أحيانا فى أيام الإجازة الأسبوعية ..

بدأ فاسيل نشاطه فى بيروت بهمة وحماس منقطعى النظير حتى يستطيع أن يثبت ذاته فى أول مهمة له خارج البلاد ، وفى أول خطوة من خطوات العمل الميدانى .. فكان يعكف طوال أوقات العمل الرسمى على قراءة التقارير السابق إرسالها إلى رئاسته فى

بلجراد ، والاطلاع على الملفات العديدة المتواجدة داخل مكتب الملحق العسكرى بالسفارة ، كما يقوم بدراسة الوثائق الموجودة فى غرفة الوثائق السرية بالسفارة .. وكان كثيراً مايعود إلى العمل فى المساء لاستكمال قراءة هذه الملفات والتقارير وفحصها بهدوء ... كما كان يطلع على تقارير السفارة عن الوضع العام فى لبنان والعلاقات الثنائية مع الدول المختلفة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .. وكان يرجع إلى رؤسائه لمناقشتهم واستيضاح كثير من الأمور الغامضة عليه ..

كانت هذه هى خطواته الأولى حسب التعليمات الصادرة إليه ، وفى نفس الوقت كان فاسيل مكلفا بمهمة أخرى وهى مهمة روتينية وبديهية يكلف بها كل ضباط المخابرات الجدد ألا وهى القيام بدراسة ميدانية شاملة لبيروت أولا ، ثم لجميع المدن اللبنانية كمرحلة ثانية .. وهذه خطوة أولى يجب على أى ضابط مخابرات القيام بها قبل بدء العمل الفعلى فى الدولة الجديدة لأنه من المفروض عليه أن يكون ملما بكل مكان وشارع ومبنى فى المدينة التى سيعمل بها ، ويجب عليه إجراء معاينة دقيقة للأماكن الهامة بها والتى من المحتمل أن يستخدمها فى أعماله ونشاطه .. لذلك وضع فاسيل لنفسه برنامج عمل مكثفا لدراسة مدينة بيروت بعد أن قسّمها إلى عدة مناطق حسب الخريطة السياحية التى حصل عليها من السفارة.

– وقد استمر هذا العمل حوالى ثلاثة أسابيع داخل بيروت العاصمة.. ثم بدأ بعدها السفر إلى باقى المدن اللبنانية فى الشمال والجنوب لاستكمال دراسته الشاملة عن الدولة ..

تجول فاسيل فى كل الأماكن الهامة فى بيروت الشرقية والغربية

وفى جميع المحلات والأسواق والبلاجات .. وكان يتجول بالسيارة أحيانا أو سيرا على الأقدام فى كثير من الأحيان ، ولمسافات طويلة حتى إذا ما بلغ به التعب مبلغه جلس بأحد المقاهى المنتشرة فى بيروت ليستريح.. وكان يفضل الجلوس بشارع الحمراء ، حيث الفائدة مزدوجة، وللراحة طعم ومذاق خاص لأن مشاهدة المارة تقتل الوقت ..

وكان يتحدث كثيراً مع من يقابلهم .. وكانوا عادة ما يبدأون الحديث معه – كعادة أهل لبنان – وحبهم للعلاقات الشخصية .. وكان يخاطبهم بأية لغة أخرى غير اللغة العربية التى لم يكن قد أجادها بعد .. إذ كان يتحدث باللغة الفرنسية التى يجيدها أهل لبنان كالعربية ، وبصفة خاصة أهالى بيروت الشرقية .. ولكنه من آن لآخر كان ينطق ببعض الكلمات العربية السهلة كنوع من التدريب ، وكان يلتقط بعض التعبيرات والكلمات العربية باللهجة اللبنانية ..

وبصفته أعزب ، فلم يكن يحرص على العودة إلى منزله مبكراً .. وكان يختار مطعماً جديدا كل يوم يتناول فيه غداءه كنوع من الاختيار والاختبار والدراسة – أى أن زيارته لهذه المقاهى كانت بهدف الفسحة والعمل فى نفس الوقت – أى زيارة وتجارة حسب المثل الشعبى المعروف ..

وفى بعض الأحيان كان يصطحب معه زميله فى السكن نرمين ذلك الحارس المسكين الذى لم يكن وقته يسمح له بالتجول كثيراً فى بيروت مثل فاسيل ، ولذلك كان يندهش عندما يأخذه فاسيل إلى

مكان جديد للأكل أو الجلوس ، وكان يستغرب معرفته لكل هذه الأماكن فى هذه الفترة الوجيزة التى قضاها فى لبنان ، وكلها أماكن لا يعرفها هو - أى نرمين - رغم أنه وصل قبله إلى بيروت بستة أشهر كاملة !!! ..

كان نرمين يحسده على ذكائه وقدرته الفائقة على التجول والدراسة والمعرفة ، وينعى حظه التعس الذى أوقعه فى العمل كحارس أمن للسفير ، يتقيد بتحركاته ، مشدوداً ومستنفراً طول الوقت ..

كان فاسيل يعود متأخراً إلى منزله كل يوم بعد عمل شاق فى السفارة للاطلاع أو فى الشارع للدراسة والتعلم .. وكان يسهر يومياً فى منزله بحى الصنايع عاكفاً على تدوين مشاهداته وأفكاره وملاحظاته، وتسجيل أسماء الأشخاص الذين تعرف عليهم فى كروت خاصة تشمل الاسم والمهنة ورقم التليفون وملاحظاته عن الشخصية.. وفى الصباح يقوم بإعادة كتابة هذه الملاحظات فى ملفات خاصة بالسفارة ؛ إذ كان يحتفظ لنفسه بأرشيف متكامل فى مكتبه ليساعده على العمل ، وفى اختيار الأشخاص الذين سيعتمد عليهم فى جمع المعلومات المطلوبة لرئاسته .. أو الأشخاص الصالحين للتجنيد لصالحه ..

أما فى أيام العطلات الأسبوعية ، فكان يتفرغ خلالها للترفيه عن نفسه والفسحة - سواء منفرداً أو مع نرمين إذا كان خالياً من العمل مع السفير ، وكان يخصص مساء كل يوم أحد لكتابة خطاباته

إلى الأهل والأصدقاء ، وبالطبع كان لابد أن يكون من بين هذه الخطابات خطاب خاص مطول إلى صديقته العزيزة جوفانكا فى يوغوسلافيا ، والتى كانت تداوم هى الأخرى على الكتابة له بصفة منتظمة حسب وعدها السابق له ..

بالرغم من أن النساء وعودهن خيال ..!!.. إلا أن جوفانكا كانت صادقة فى وعودها له .. وكانت خطاباتها المستمرة له تخفف من شعوره بالوحدة والغربة ، كما تزيد من شوقه إليها ، وكان يتخيلها أمامه كل يوم عندما يعود منهكاً ليدون ملاحظاته ومشاهداته .. كان يتخيلها بابتسامتها الرقيقة وقوامها الممشوق ، تجلس أمامه وتستمع إليه باهتمام بالغ وهو يحكى لها هذه الملاحظات .. وأنها تناقشه فى كل صغيرة وكبيرة منها .. وكان يتذكر كلامها له عن بيروت ولبنان بصفة عامة .. وكأنه يقول لها : إن كل ماسمعه منها عن لبنان كان صحيحاً ويؤكد الصورة التى رسمتها له من قبل عنها ..

استمر فاسيل على هذا الحال عدة أشهر يدرس ويتأمل ويتجول ويدون كل ملاحظاته التى أثارت إعجاب رؤسائه بالمكتب الحربى فى بيروت ، مما دفعهم إلى تكليفه ببعض المهام الصغيرة فى الميناء أو المطار كنوع من التدريب على جمع المعلومات واستكمال الدراسة الميدانية .. ومع مرور الوقت ازداد اعتماد رؤسائه عليه ، وأصبح فاسيل هو شعلة النشاط المتوهجة فى المكتب الحربى بصفة خاصة، وفى السفارة بصفة عامة .. وأصبح هو الأكثر خبرة عن الكثير من

زملائه الأقدم منه خدمة فى لبنان ..

أوديت :

كان مطعم نجمة بيروت المطل على كورنيش البحر بالروشة - وهى صخرة مشهورة على الشاطئ - هو أكثر الأماكن التى كان يتردد عليها فاسيل منذ وصوله لبنان .. وازداد إعجابه بهذا المطعم إلى درجة كبيرة ، فهو مطعم هادئ ونظيف وقهوة راقية يتردد عليها الصفوة من اللبنانيين والأجانب ..

كانت أوديت ذات السبعة والعشرين ربيعا هى الدينامو الحقيقى الذى يدير هذا المطعم .. فهى تارة تستقبل الزائرين المترددين عليه.. وتارة تعمل على الكيس - أى الخزينة - وتارة أخرى تقوم على خدمة رواد المطعم .

وكان فاسيل هو أحد الرواد المعروفين للمكان .. كان يراقبها من بعيد دون أن يتبادلا الحديث .. وفى مساء يوم كانت أوديت تقوم بخدمة الزبائن وإحضار طلباتهم ، وسألته باللغة الفرنسية عما يريد .. فأجابها بنفس اللغة ، أريد سمكاً على العشاء .. سمكاً مشوياً وسوتيه وجميع السلطات اللبنانية الموجودة عندك .. وقبل أن تكتب الطلبات بادرته قائلة : إنك تتكلم الفرنسية جيداً ، ولكنك لست فرنسياً .. فهل هذا صحيح ؟ ضحك فاسيل ولم يجب على سؤالها ، وبادرها قائلا : وأنت أيضاً تجيدين الفرنسية أكثر منى ولكنك لست فرنسية ؟

فتبسمت أوديت وقالت : ملاحظتك فى محلها .. أنا لبنانية ولكن تعليمى ودراساتى كلها باللغة الفرنسية ، واسمى أوديت وأنا أدير هذا المكان المملوك لعمى الذى هاجر إلى أفريقيا .. وانطلقت لإحضار الطلبات دون أن توجه إليه أسئلة أخرى ، ودون انتظار إجابته على سؤالها الأول .

أعجب فاسيل فى هذا اليوم بشخصية أوديت وطريقة كلامها وخبرتها فى الحديث مع الغرباء أو الأجانب بصفة عامة ، وكان قد أعجب بجمالها ورشاقتها وقوامها الممشوق .. وعندما اقتربت منه وتجاذبت معه الحديث استرعت انتباهه نظراتها الثاقبة الواثقة ، وبريق عينيها المشع الذى يجذب الناظر إليها من الوهلة الأولى .. أما شعرها فقد كان حالك السواد يتدلى فوق كتفيها ، ووجهها أبيض جميل مشرب بسمرة خفيفة أضافتها شمس البحر ..

عادت أوديت تحمل لفاسيل الطعام الذى طلبه ، ووضعته أمامه ثم سألته قبل أن تعود أدراجها لخدمة باقى الزبائن : أى خدمة أخرى ؟

فرد عليها قائلاً : لا .. شكراً .

فقالت له بالفرنسية : بون أبتى – أى بالهناء والشفاء .

وبعد أن فرغ فاسيل من تناول عشائه ، قام ليدفع الفاتورة .. وأراد أن يداعب أوديت استكمالا للحديث الذى بدأ بينهما فقال لها :

«ألاحظ أنك لا تدخنين كثيرا اليوم كالعادة » .. فردت عليه قائلة: «ملاحظتك فى محلها أيضا هذه المرة .. فأنا لا أدخن أثناء قيامى

بخدمة الزبائن، أما إذا كنت أعمل على الخزينه فإننى أدخن بشراهة»
فقال لها :

«النساء هنا فى بيروت يدخنّ بشراهة تماما كالنساء عندنا فى يوغوسلافيا » .. وكأنما أراد بهذه الملاحظة الأخيرة أن يرد على سؤالها الأول له بأنه غير فرنسى .. فقالت له :

أنت يوغوسلافى .. قال نعم .. وأعمل هنا بالسفارة فانفرجت أسارير أوديت وبدا واضحا اهتمامها به .. وقالت : بلادكم جميلة جداً ... لقد زرت دوبروفننج السنة الماضية ضمن رحلة إلى اليونان وإيطاليا ، وكانت دوبروفننج هى أجمل الأمكنة فى هذه الرحلة بالرغم من قصر المدة التى قضيتها بها حيث لم نمكث بها سوى ليلتين فقط ثم عدنا إلى إيطاليا .. وشكرها فاسيل على هذه المجاملة اللطيفة لإحدى المدن اليوغوسلافية الواقعة على بحر الادرياتيك مباشرة..

وقال لها فى نهاية حديثه وباللغة العربية :

شكراً.. شكراً جزيلاً .. فضحكت أوديت وقالت له :

تكرم ، شىء عظيم أنك تتعلم اللغة العربية بسرعة ، قال :

أحاول أن أتعلمها .. قالت:

عموماً أنا مستعدة أن أقوى اللغة عندك فى أوقات فراغى ، وأعمل معك شوية «براتيك» .. فقال لها :

هذا ما أتمناه بالفعل ..

وفطن فاسيل الى المغزى المقصود من دعوتها المفتوحة له ، وأنها ترغب فى مصادقته أو الخروج معه فى أوقات فراغها .. إلا أنه لم يكن متأكداً عما إذا كانت هذه الدعوة صادقة أم أنها مجاملة عابرة لزبون مستديم مثله ...

عاد فاسيل إلى منزله فى هذا اليوم منشرح الصدر ، سعيداً بالكنز الذى عثر عليه بتعرفه على أوديت .. فبالرغم من جمالها وجاذبيتها إلا أنه لم يكن ينظر إليها من هذه الناحية ، ولكنه بصفته ضابط مخابرات كانت نظرته إليها تختلف تماماً .. ففتاة جميلة لها هذه المواصفات تعتبر بلا شك صيدا ثمينا لصياد مبتدئ ، ويمكن تجنيدها للعمل لصالحه فى مجال جمع المعلومات ومجالات أخرى ..

لم تغمض عينا فاسيل فى هذه الليلة قبل أن يكتب وثيقة ترشيح أوديت لكى يرسلها فى الصباح إلى رئاسته للتصديق عليها والحصول على موافقتهم على تجنيدها للعمل لصالحهم .. كتب يقول :

إن أوديت بشخصيتها وجاذبيتها وذكائها هى عنصر مفيد بلاشك لصالح أعمالنا ... كما أضاف أنها بحكم إدارتها لهذا المطعم والمقهى الشهير على شاطئ بيروت والذى يتردد عليه العديد من الشخصيات اللبنانية البارزين وكثير من الأجانب المقيمين فى بيروت وضواحيها والزائرين من كل بقاع الأرض ، تعتبر مصدرا هاماً من مصادر جمع المعلومات .. فهذا المكان يعتبر ملتقى فئات كثيرة ومتنوعة من البشر.. وأضاف إلى تقريره أنه يرشحها للعمل معه شخصياً حيث يشعر أنها مشدودة إليه .. وأنه سوف يستثمر هذا

الشعور من جانبها فى صالح العمل .. وأنه فى نفس الوقت سوف يقوم بعمل دارسة شاملة عن أوديت لمعرفة إمكانية تشغيلها من عدمه، وأنه سوف يضعها تحت الاختبار لفترة ..

وبعد انتهاء فاسيل من كتابة تقريره استلقى على سريره بملابسه كاملة وأخذ يفكر فى النتائج التى يمكن أن يحصل عليها نتيجة تجنيده لهذه الفتاة اللبنانية الجميلة .. واستعرض فى مخيلته شريطا كاملا لأحداث هذا اليوم المشحون !!..

وفى نفس هذه الليلة ، وربما فى نفس الوقت تماما ، كانت أوديت قد عادت إلى منزلها وشرعت فور دخولها إلى شقتها الفاخرة فى بيروت الشرقية فى خلع ملابسها قطعة قطعة وفى عجالة كانت تلقى بثيابها يمينا ويسارا فى نشوة وسعادة واضحة .. ثم وصلت إلى الحمام المجاور لغرفة نومها لأخذ دش دافئ تزيل به عناء يوم طويل شاق .. وخرجت من الحمام منتعشة تماما وبدا بريق عينيها متألقا كأنها تبدأ يوما جديدا .. ثم شرعت فى تصفيف شعرها المبتل وتجفيفه بالسشوار وهى تضع منشفة فوق كتفيها .. ثم جلست إلى مكتبة صغيرة فى غرفة نومها وفتحتها بمفتاح خاص وأخرجت بعض الأوراق وشرعت فى الكتابة .. كانت أوديت تكتب تقريراً مماثلا للتقرير الذى كتبه فاسيل لرئاسته .

– كانت هى أيضاً تقوم بكتابة هذا التقرير لإرساله إلى رئاستها ترشح فيه فاسيل للعمل لصالحها ، وتطلب الإذن لها بتجنيده .. وبعد أن كتبت التقرير أخرجت من أحد أدراج المكتب جهازا

لاسلكيا لا يتجاوز حجمه كف اليد ، وأدخلت فيه كل المعلومات التى تضمنها التقرير بواسطة آلة كاتبة صغيرة ضمن الجهاز بعد أن قامت بتشفير الرسالة .. ثم وضعت مفتاح الإرسال فى وضع التشغيل، وضغطت على زر أحمر فى الجانب الأيمن من الجهاز ، وبعد ثوان معدودة كان قد تم استقبال الرسالة فى جهاز الاستقبال الرئيسى فى رئاستها فى تل أبيب ..

لقد كانت أوديت من أكبر عملاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وعميلتهم الرئيسية فى بيروت !!.. قالت أوديت فى تقريرها : إنها تعرفت على شاب يوغوسلافى يعمل فى المكتب الحربى بالسفارة اليوغوسلافية ببيروت ، وأنه حديث عهد بالبلاد ، إذ لم يمض على وصوله إلى بيروت سوى بضعة أشهر فقط .. وبما أنه شاب أعزب وسيم فسوف يسهل عليها إغراؤه ، سيما أنها أحست بانجذابه إليها وإعجابه بها منذ أول لقاء .!.

وأضافت أوديت فى تقريرها : أنه لما كان فاسيل ينتمى إلى إحدى دول أوروبا الشرقية ، فسوف يكون من السهل عليها استمالته واستقطابه بطرق عديدة ، وأهمها بريق المال - إذا لزم الأمر - وأنه بحكم عمله بالسفارة اليوغوسلافية فسوف يكون مصدرا جيدا لجمع المعلومات بأنواعها .. خصوصاً وأن بلاده على علاقة وطيدة مع جميع الدول العربية بحكم موقعها وريادتها لمجموعة دول عدم الانحياز .. وطلبت فى نهاية تقريرها الذى أرسلته إلى (الموساد) التصديق على

استكمال الخطة وتزويدها بالرأى فى طريقة التنفيذ التى يجب أن تكون تحت إشرافهم .

صائدان بلا فريسة :

نام كل من فاسيل وأوديت فى ذلك اليوم نوما هادئا عميقا بعد أن تخيل كل منهما أنه فى طريقه للإيقاع بفريسته المنشودة .. فبالنسبة لفاسيل كانت هذه أول خطوة عملية وتنفيذية فى مجال عمله الأصلى الجديد وكانت الفريسة تستهويه ..!!..

وبالنسبة لأوديت ، كانت تجربة مثيرة وجديدة مع شخص فى سفارة أجنبية ، يتمتع بموقع مرموق ، بالإضافة إلى وسامته وجاذبيته .. فهو أيضاً فريسة تستهويها ..!!..

وقبل أن يذهب فاسيل إلى السفارة فى صباح اليوم التالى لتقديم تقريره عن أوديت والذى كتبه فى المساء .. كانت برقية أوديت الشفرية قد تم حلها .. وكان هناك اجتماع عاجل بفرع العمليات الخارجية الخاصة بجهاز المخابرات الإسرائيلى (الموساد) فى تل أبيب ، لفحص ودراسة التقرير الهام الذى أرسلته مندوبتهم النشطة من بيروت.. !!..

كانت المعلومات التى وردت من أوديت عن فريستها تدعو إلى الاهتمام ، وكان لابد من تقديم العون الكامل لعميلتهم فى بيروت لمساعدتها على نجاح مهمتها .. وكان قرار المجتمعين هو إرسال برقية عاجلة فى نفس اليوم إلى أوديت يطلبون منها الاستمرار فى علاقتها

مع هذا الشاب اليوغوسلافى ، وتطوير هذه العلاقة وتعميقها للحصول على المزيد من المعلومات الشخصية عنه ، وكذا دراسة أفكاره وآرائه واتجاهاته وميوله لمعرفة أسهل الطرق للوصول إليه وتجنيده .. وفى نفس الوقت كلفت مجموعة أخرى للكشف عن أية معلومات قد تكون مسجلة عنه في سجلاتهم أو ملفاتهم ، وعمل تحريات شاملة عنه سواء في بيروت أو في بلده الأصلى ومسقط رأسه .. وانفض اجتماع الموساد بعد أن كلف الضابط ريمون بأن يكون هو الضابط المسئول عن إدارة هذه القضية الهامة وتشغيلها ..

تكررت لقاءات فاسيل وأوديت في المطعم الذى تديره ثم تعدتها إلى خارجه حيث كانا يتقابلان في أوقات فراغهما في أماكن أخرى معظمها خارج مدينة بيروت والتي كانت تقترحها عليه أوديت على أساس أنها جولات سياحية تحت إشرافها ولكونه شخص غريب .. وكان هو سعيدا بذلك ، فهذه الجولات تدخل ضمن الدراسات والمعاينات التى يقوم بها ..

وبدأ كل منهما يستجوب الآخر فى هدوء ، ويجمع عنه المعلومات المطلوبة بحجة الاهتمام به وتعميق الصداقة بينهما .. كان حوارهما مباراة ذكاء بين ضابط المخابرات اليوغوسلافى ومندوبة المخابرات الإسرائيلية .. كل يسعى إلى نفس الهدف، وكل منهما له نفس الغاية، ولم تكن لقاءاتهما غرامية أو عاطفية بقدر ماهى فكاهية!! كانت أحاديثهما أشبه بمحاورة بين قط وفأر .. أو توم وجيرى .. وعندما يتنبه أحدهما فجأة إلى أنه تجاوز الحد المعقول ، وخرج عن

الخط المألوف فى الحوار بين رجل وامرأة .. يتحول الحديث إلى أسئلة رومانسية .. أو جنسية !! ..

وكان فاسيل حريصاً فى هذه الناحية أكثر مما كانت أوديت .. فهو يعتبر نفسه فى الشرق العربى المحافظ ، والذى يجب أن تكون العلاقات مع نسائه أكثر حذرا وأقل إباحية كما تعلم ذلك فى بلاده.. وعلى العكس منه كانت أوديت إذ كانت تلميحاتها عن الجنس جريئة .. ودعوتها إليه صريحة !!..

ولم يخل الحديث بينهما بطبيعة الحال عن موضوعات الساعة السياسية من مشاكل عالمية إلى مشاكل الشرق الأوسط والمشاكل المحلية داخل لبنان .. وكانت معلومات أوديت فى هذا المجال غزيرة .. بعكس فاسيل الذى كانت معلوماته عن المشاكل العالمية والصراع بين الكتلتين أكثر وأعمق ..

وبعد أن توطدت العلاقة بين فاسيل وأوديت أصبحت لقاءاتهما تتم داخل شقتها فى شرق بيروت .. فقد دعته ذات يوم لتناول العشاء فى منزلها لأول مرة ، وكان فاسيل سعيداً بهذه الدعوة إلى أبعد الحدود .. وقد حاولت أوديت أن تجعل اللقاء رومانسيا إلى أقصى درجة .. فتجنبت فى هذا اليوم أن تتحدث فى أى موضوعات تمس عملها أو خطتها .. وكذلك فعل فاسيل .

كانت شقة أوديت جميلة وفاخرة ، تنم ديكوراتها عن ذوق رفيع شد انتباه فاسيل الذى لم يتعود على هذا النوع من الشياكة

والفخفخة والأثاث الفاخر ، وقد أفضى إليها بهذه الملاحظة .. فبادرته مازحة :

إذا كانت الشقة تروق لك بهذا الشكل فيمكنك الانتقال إليها والإقامة معى إذا رغبت !!.. ثم أضافت : إلا إذا كان ذلك ممنوع من السفارة !!..

وكان لتعليق أوديت ومزاحها مغزى فهمه فاسيل إلا أنه لم يعلق عليه ..

وبعد تناول العشاء الفاخر الذى أعدته أوديت بنفسها - حسب تصريحها له - استكمل فاسيل ليلته فى فراش أوديت حتى الصباح ..

كانت خطة أوديت لتجنيد فاسيل تعتمد على إغرائه بالعلاقة الجنسية وبالمال بصفته أحد رعايا الدول الشيوعية الفقيرة .. أما هو فكانت خطته لتجنيدها تعتمد على محاولة استمالة عواطفها والإيقاع بها فى شباك غرامه .. ومع الوقت كانت خطة أوديت تبدو ناجحة من وجهة نظرها .. إذ استطاعت أن تؤثر على فريستها ، وتبهره بإمكانياتها المادية .. فطريقة صرفها للنقود كانت تميل إلى التبذير .. وملابسها الفاخرة المستوردة من الخارج تلفت الأنظار .. وشقتها الأنيقة وسيارتها الحديثة .. كل ذلك ينم عن مستوى عال يجعلها محط أنظار الكثيرين، وكانت هى كذلك تشعر من نظرات فاسيل وطريقة حديثه معها وانبهاره بالمستوى الاجتماعى الذى تعيشه ..

ولما أحست بنجاح خطتها معه ، قررت أن تضرب على الحديد الساخن وتخبره أنها تقوم بأعمال أخرى كثيرة خلاف عملها بالمطعم.. وأن لها مشاريع تجارية واستثمارية فى عدة مجالات ، مثل التصدير والاستيراد ، وأعمال النشر والطباعة ، وأنها تستثمر أموالها نقداً فى هذه المشروعات عن طريق معارفها وأصدقائها المقربين ، فهى شخصيا ليست لها خبرة فى إدارة مثل هذه الأعمال أو تشغيل أموالها .. وأن خبرتها فقط تنحصر فى إدارة المطعم والمقهى المعروف بنجمة بيروت .. واستطردت قائلة :

إننى يمكن أن أستعين بك وأقوم بتقديمك إلى أصدقائى فى حالة احتياجهم إلى تصدير أو استيراد أى بضائع من يوغوسلافيا فى مقابل عمولة تحصل عليها بعد تنفيذ الصفقة !! .. وابتلع فاسيل الطعم .. فسال لعابه لرنين المال من العمولة التى يمكن أن يحصل عليها، فأجابها بلا مبالاة : ما فيش مانع .. !! .. وكانت هذه الإجابة مؤشراً لأوديت أن فاسيل جاهز مبدئياً للخروج عن الخط المرسوم له فى العمل فأبرقت بذلك إلى رئاستها فى تل أبيب ..

أما خطة فاسيل لاستمالة أوديت فكانت تبدو ــ من وجهة نظره ــ غير ناجحة .. إذ لم تكن أوديت من النوع الرومانسى أو العاطفى الذى يقع فى شراك الحب .. بل كانت تمارس الحب فقط ، لكنها لا تقع فيه .. فهى إنسانة عملية وواقعية إلى أقصى درجة ..

ومع مرور الوقت شعر فاسيل بالإحباط ، وأخذ يفكر فى وسيلة أخرى للإيقاع بفريسته .. فصار يفتش عن نقطة الضعف فيها

لاستخدامها كثغرة يمكنه من خلالها أن يسيطر على أوديت قبل أن يعرض عليها التجنيد ..

كان واضحاً أنه لا يستطيع السيطرة على أوديت بسلاح العاطفة أو الحب أو الجنس .. كما استبعد فكرة إغرائها بالمال الذى لم يكن يشكل أى نوع من الإغراء بالنسبة لها .. فالمال لديها كثير .. ومحاولة استمالة فتاة تعيش مترفة وتنفق ببذخ ليست من السهولة ، إذ تتطلب صرف مبالغ طائلة تفوق قدرات جهاز المخابرات الذى يعمل لحسابه .. فليس فى مقدور جهاز المخابرات اليوغوسلافى دفع المبالغ التى تمكنه من تجنيد فتاة مثل أوديت .. وكان هذا الموضوع يقلق فاسيل إلى درجة كبيرة .. واكتشف أنه فى مأزق ، أمام مشكلة كبيرة.. وأصبح فى موقف حرج أمام رؤسائه الذين وعدهم بتجنيد فتاة لديها إمكانيات كبيرة ، وحصل على موافقتهم على خطه العمل التى لم يتمكن من تنفيذها .. ووجد أنه فى حاجة إلى بعض الوقت لإعادة دراسة شخصية أوديت لعله يتمكن من التوصل إلى نقطة ضعفها .. وكان يخشى أن تفشل خطته فيخسر معركتين ..

الأولى : مهمته فى بيروت فيما يتعلق بتجنيد فتاة يمكن الاستفادة منها ، وبالتالى يظهر بمظهر غير لائق أمام رؤسائه ..

والثانية : ضياع فرصة العرض المقدم له من أوديت للعمل مع شركائها فى مجال التجارة وحصوله على عمولة وأرباح كبيرة حسب تقديرها له .. !! .

وفى أول لقـاء بين فـاسيل وأوديت .. بادرها بسؤال كنوع من جس النبض : مـا هي أخبـار أصـدقـائك الذين يرغبـون فى عـمل صفقات تجاريه مع يوغوسلافيا ؟ .. فأجابته قائلة : لقد حدثتهم عنك ، وقد أسعدهم جداً أنك ترغب فى التعاون معهم .. وسوف أحدد لك موعداً فى الأسبوع القادم لمقابلة المسئول عن العمليات التجارية ، وسوف أبلغك بالموعد الذى يحددونه ..

– ثم غيرت الحديث بلا مبالاة ، فقالت له : مع حلول الصيف.. ألا تفكر فى قضاء إجازة معى خارج لبنان ؟ .. أم أنك مرتبط بقضاء إجازتك فى بلدك ؟ فأجابها قائلاً :

لقد اقتربت إجازتى فعلاً .. ولكنى لم أقرر بعد كيفية قضائها .. وعموما فإن عرضك هذا يدفعنى أن أعجل بالحصول عليها .. وأفكر جدياً فى قضائها معك ..

وجها لوجه مع ضابط الموساد :

بعد مضى أسبوع من آخر لقاء بين فاسيل وأوديت اتصلت به تليفونيا وأخبرته أن ريمون يريد أن يقابله فى اليوم التالى .. وأضافت : إنه الشخص الذى حدثتك عنه والذى يرغب فى عقد صفقات تجارية مع يوغوسلافيا .. فوافق فاسيل على الفور ، ووعدها بالحضور فى الموعد الذى حددته ..

وتم اللقاء فى مطعم ومقهى نجمة بيروت الذى تديره أوديت ..

كان ريمون - ضابط المخابرات الإسرائيلى - فى العقد الرابع من عمره .. أشيب الشعر ، يرتدى نظارة نظر سميكة ، وله قوام رياضى رغم سنوات العمر البادية على قسمات وجهه ...

وبعد أن تم التعارف بينهما عن طريق أوديت .. فوجئ فاسيل بأن ريمون يتحدث اليوغوسلافية بطلاقة .. وعندما أبدى دهشته من أن شخصا لبنانيا يتحدث اليوغوسلافية بهذه الطلاقة بالرغم من أنها ليست من اللغات المشهورة فى لبنان أو العالم، قال ريمون :

لقد درست عندكم لعدة سنوات وأنا طالب ، ولذلك فقد أتقنت اللغة اليوغوسلافية .. لكننى سأتكلم الفرنسية حتى تفهمنا أوديت ..

- وبعد حديث ودى طويل ، قال ريمون: إن لنا اهتمامات بالغة للعمل مع بلادكم ، ولكنها عالم مجهول بالنسبة لنا .. وأطمع فى أن تفتح لنا أبواب هذا العالم المجهول .. فلم يسبق لنا التصدير أو الاستيراد من يوغوسلافيا ، لذلك أريد أن أعرف على وجه التحديد ما هى المنتجات اليوغوسلافية المسموح بتصديرها للخارج ، وما هى احتياجات بلادكم من السلع غير المتوفرة لديكم حتى يمكن تصديرها إليكم ، وما هى الشركات التى يمكن أن نتصل بها لإتمام هذه الأعمال ؟ ..

أجاب فاسيل : إن كل هذه البيانات موجودة لدى الملحق التجارى بالسفارة وسوف أطلبها منه .. فرد عليه ريمون : لكننا نريد معرفة شركات بعينها لنتعامل معها .. وتقوم أنت بتقديمنا إليها لتدعيم

مركزنا ، وعندئذ تحصل على عمولتك عن الصفقة ، وهى تتراوح مابين ٣ إلى ٥ ٪ وقد تزيد عن ذلك فى بعض الأحيان !! .

- فوافق فاسيل بلا تردد .. وأخبره أنه سيحضر له هذه البيانات فى اليوم التالى إذا أراد .. وفى نهاية اللقاء طلب فاسيل من ريمون أن يترك له رقم تليفونه حتى يمكنه الاتصال به .. فقال له ريمون:

إن تنقلاتى كثيرة خارج لبنان .. ومن المستحسن أن يكون اتصالك بى من خلال أوديت فهى تعرف تحركاتى بالكامل .. وكيف تحصل علىّ فى أى وقت !! .. ..

أثار هذا الرد شكوك فاسيل فلم يكن هذا هو أسلوب رجل الأعمال العادى الذى كان من المفروض أن يقدم له كارتا يحمل اسمه وعمله ورقم تليفونه !!! .. وخرج من هذه المقابلة بانطباع غير مريح تجاه ريمون إذ لم يكن ودوداً أو مرحاً كباقى اللبنانيين الذين قابلهم .. كما لم يلمس فى أسلوبه وطريقة كلامه أنه رجل أعمال ناجح ، كما قدمته له أوديت ، وقرر أن يفصح لها عن رأيه فى ريمون عند أول لقاء بينهما لكى يعرف منها معلومات أكثر عنه قبل التعامل معه ،كما أراد أن يقابله مرة أخرى حتى يتمكن من دراسة شخصيته أكثر ..

وفى اليوم التالى اتصل فاسيل بأوديت.وأخبرها أنه تمكن من الحصول على كشف من الملحق التجارى بالسفارة عن المنتجات اليوغوسلافية المسموح بتصديرها للخارج، وكذا كشف بالشركات الكبرى التى يمكن التعامل معها - وذلك بناء على طلب ريمون -

وأنه يمكنه الحضور لتسليمها له بعد الظهر إن هو أراد ذلك ، فطلبت منه أوديت مهلة للاتصال بريمون وتحديد موعد معه .. وبعد أقل من نصف ساعة فوجئ فاسيل بريمون يتصل به تليفونيا بالسفارة ويخبره باستعداده للقائه فى الساعة الخامسة من نفس اليوم بعد الظهر فى ملعب التنس الملحق بأحد الفنادق الكبرى فى بيروت ، وطلب منه أن يحضر معه ملابس الرياضة ليتمكن من مشاركته رياضة التنس التى يعشقها ..

كان ريمون لا يزال فى بيروت التى دخلها بجواز سفر بريطانى وكان يقيم فى شقة فاخرة مفروشة مؤجرة بصفة دائمة لحساب الموساد ، حيث اتصلت به أوديت وأخبرته بمكالمة فاسيل لها ، فسارع بدوره إلى الاتصال به ..

وفى الموعد المحدد كان ريمون ينتظر فاسيل فى ملعب التنس بالفندق مرتديا الملابس الرياضية ، ممسكا بمضرب تنس (دانلوب) فاخر ، وعندما شاهد فاسيل بملابسه العادية بادره قائلا :

ـ ألم تحضر معك ملابس التنس ؟ ..

ـ لا .. لم أعمل حسابى على ذلك ..

ـ ولكن شهيتى اليوم مفتوحة لأتغلب على أى شخص وأنت أولهم حيث علمت أنك تجيد هذه اللعبة ..

ـ ومن أخبرك بهذه المعلومات السرية ؟ .. فلم ألعب التنس منذ وصولى بيروت .. ولم أتحدث مع أحد فى هذا الموضوع ؟ ..

كانت ملاحظة ذكية من فاسيل أربكت ريمون .. ولكنه تمالك نفسه سريعا ، وأردف :

ـ لقد علمت ذلك بفراستى .. فقوامك المعتدل وعضلات ساعدك الأيمن القوية التى تبرز منها العروق بشكل واضح خلاف اليد اليسرى تدل على أنك تستخدمها فى لعبة مثل التنس أو الاسكواش .. أما الأهم من ذلك كله – وما لا يدع مجالا للشك فى أنك لاعب ممتاز وهاوٍ من الدرجة الأولى – فسلسلة المفاتيح التى تحملها ، والتى يتدلى منها ميدالية على هيئة مضرب التنس الصغير .. فهل تعتبر بعد كل هذا أن هذه معلومات سرية كما تقول ؟..

استراح فاسيل بعد هذه الإجابة ، وقال:

– نعم .. نعم .. لقد كنت لاعب تنس جيدا فى الماضى .. ولكنى لم أمارس اللعبة منذ فترة طويلة بسبب انشغالى فى العمل ..

فقال ريمون :

ـ ها قد جاء الوقت لتعيد أمجادك ، وتستعيد ذكريات اللعبة – قالها ريمون ضاحكا – ثم أضاف : وعلى العموم سأترك لك فرصة أسبوع للتمرين واستعادة لياقتك البدنية ، ثم نتقابل الأسبوع القادم فى نفس المكان ونفس التوقيت لنلعب مباراة شيقة ..

قال فاسيل :

ـ أنا لا أحتاج إلى كل هذا الوقت للتمرين واستعادة اللياقة ..

فرد ريمون :

ـ وهو كذلك .. فليكن لقاؤنا هنا فى نفس الوقت .. غدا.

ـ موافق .. قالها فاسيل .. ثم أضاف : لقد أحضرت معى كشفا من السفارة عن المنتجات اليوغوسلافية المسموح بتصديرها للخارج .. وكذا كشفا بالشركات الكبرى التى يمكن الاتصال بها فى يوغوسلافيا .. وقدم الكشفين إلى ريمون الذى أخذ يتطلع إلى محتوياتهما ، ثم قال :

ـ هذه بداية العمل الفعلى بيننا .. ولن أنسى خدماتك هذه ، وسوف يكون لك نسبة من العمولة فى أى صفقة تتم مع بلادكم .. ويمكن أن تعقد لنا اتفاقا مكتوبا فى هذا الشأن ..

فرد فاسيل :

ـ لا يهم .. سوف نعتمد على الثقة المتبادلة بيننا ..

وقبل أن يودع ريمون ضيفه أكد عليه موعد الغد ، وأن يحضر معه ملابس التنس والمضرب .. أو يحضر فاسيل الملابس فقط ، وسيحضر له ريمون المضرب من عنده ..

وقال ريمون مازحا : لاتعتقد أننى صيد سهل ، وأنه من السهل عليك هزيمتى فى التنس .. نعم أنا أكبر منك سناً لكن خبرتى طويلة فى هذا المجال ، ولست بالخصم الضعيف .. وعلى العموم فسوف نرى غدا .. وإن غدا لناظره قريب ..

لم يخرج فاسيل من اللقاء الثانى مع ريمون بانطباع معين ، ولكن شكوكه استمرت تجاه الطريقة التى يتكلم بها ، والثقة الزائدة

بالنفس وجديته فى الحديث وسرد الموضوعات .. حتى مزاحه كان أقرب إلى الجدية منه إلى المزاح .. وقال فاسيل فى نفسه: فلندع الأمور تسير إلى آخرها حتى نرى ما يستجد فيما بعد ، ولأزداد معرفة لهذا الرجل قبل التعامل معه .

لم يذكر فاسيل لرئاسته شيئا عن الشخصية الجديدة التى تعرف عليها عن طريق أوديت ، ولم يتعرض له إطلاقاً فى أحاديثه العابرة الشفوية أو تقاريره الرسمية المكتوبة .. واعتبر أن صداقته الجديدة مع ريمون شيء شخصى، ولم يكلف نفسه حتى مشقة البحث عن معلومات أوفى عن هذا الشخص ، ولا حتى مجرد سؤال الفندق الذى تقابلا فيه للعب التنس هل هو نزيل .. أو لا ؟ .

ـ وكان تحليل فاسيل الداخلى لتصرفاته العمياء ، أنه ربما يستفيد مادياً من علاقته مع ريمون .. وأنه واثق من نفسه إلى أقصى درجة .. وسوف تكشف الأيام عن صحة أرائه وتصرفاته ..

حضر فاسيل فى اليوم التالى مرتدياً ملابسه الرياضية ، وأحضر معه مضرب التنس ، حيث وجد ريمون فى انتظاره فى الكافتيريا المجاورة للملعب يشرب عصيراً مثلجاً .. وقبل أن يبادره فاسيل بالسلام ، بادره هو قائلاً :

ـ إننى أتحداك اليوم .. لنلعب مباراة كاملة من ثلاث مجموعات.. والمغلوب يدفع خمسين دولارا بالإضافة الى المشروبات المثلجة ..

قال فاسيل :

ـ إنك تبدأ الرهان قبل أن تعرف مستواى فى اللعب .. إنها مغامرة غير محسوبة !!!..

وهو كذلك .. إننى أحب المغامرة .. والمقامرة أيضاً .. ولذلك سوف ألاعبك بالرهان قبل أن أعرف مستواك .. ولكننى أعرف أنك غير مستعد اليوم ، فالرهان فى صالحى .

اعتبر فاسيل أن هذا الكلام للاستهلاك المحلى ، وأنه نوع من المداعبة ، ولكن ريمون كان يعنى كل كلمة يقولها ، ويخطط بدقة لدراسة شخصية عميله الجديد .

انتهى اللقاء الرياضى بهزيمة ريمون فى التنس بعد أن تفوق عليه فاسيل بمجموعتين كاملتين متتاليتين ، بذل فيهما فاسيل كل جهده .. ولكن على الجانب الآخر فلم يبذل ريمون أى مجهود يذكر .. وكأنه تعمد الهزيمة أمام خصمه الجديد .. وعلى الفور أخرج ريمون ورقة مالية صحيحة فئة خمسين دولارا وأعطاها لفاسيل قائلا : نصيبك فى الرهان .. وسوف أدفع أنا المشروبات أيضاً ، ولكن تذكر أن المرة القادمة سيكون الرهان أكبر وسأكون أنا المنتصر .. إننى فقط كنت أجذب رجلك للقمار .. وضحك الاثنان .. واستلم فاسيل الخمسين دولارا بسهولة ويسر ، وكان فرحا بهذا المبلغ الذى جاءه دون عناء يذكر .. كما أن الدولار الأمريكى كان له بريق خاص لدى الضابط اليوغوسلافى .

لقد خسر ريمون فى لعبة التنس ، ولكنه نجح فى اختبار فاسيل

ومعرفة بعض سلوكياته ، ليضع بذلك نهاية لدراساته الخاصة بهذا الشخص المرشح .. وأنه يقترب من المرحلة النهائية ، وهى عرض العمل عليه ..

كانت أوديت هى المصفاة التى يستخدمها ريمون مع فاسيل بعد كل لقاء بينهما ، وكانت على اتصال مستمر به لمعرفة انطباعاته عن المقابلة التى تمت بينهما .

ـ وفى هذا اليوم اتصلت أوديت بفاسيل وسألته عن نتيجة مباراة التنس مع ريمون ومن انتصر فيها - كنوع من المداعبة - فقصّ عليها ما كان من هزيمة ريمون شر هزيمة .. إلا أنه لم يذكر لها شيئاً عن الرهان - الخمسين دولارا - وقد أعطى ذلك لريمون انطباعا جيدا عن نجاح خطته ، وأنه يسير فى الاتجاه الصحيح .

ـ إذ كشف فاسيل دون أن يدرى عن حقيقة معدنه .. وما يدور بداخله من مشاعر وأحساسيس تجاه المال .

صيف ساخن

قبل أن يبدأ ريمون وأوديت خطوتهما التالية تجاه فاسيل وقبل أن يتم فاسيل عامه الأول فى لبنان .. كان الموقف فى الشرق الأوسط يتأزم بشكل واضح بين إسرائيل وجيرانها ، وبلغت الأزمة ذروتها فى نهاية شهر مايو سنة ١٩٦٧ بعد أن رفعت مصر درجة استعداد قواتها المسلحة، وطلبها ترحيل قوات الأمم المتحدة من سيناء ، وإغلاق خليج

العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية ، وفى هذا الوقت انشغل فاسيل هو وباقى أعضاء المكتب الحربى فى متابعة هذه الأحداث ..

وفجأة فى صباح اليوم الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ شنت إسرائيل هجومها على مصر وباقى الدول العربية ، وبدأ الصراع فى منطقة الشرق الأوسط يأخذ شكلا مأساويا بعد احتلال إسرائيل لبعض أراضى مصر وسوريا والأردن بالإضافة إلى كل الأرض الفلسطينية ..

كان الموقف فى لبنان يوحى بالانفجار فى أى وقت ، حيث كانت لبنان مركزاً من مراكز المقاومة الفلسطينية الهامة .. وجاءت استقالة الرئيس جمال عبد الناصر وتنحيه عن الحكم فى التاسع من يونيو سنة ١٩٦٧ لتشعل حماس الشعب اللبنانى الذى خرج فى مظاهرات عارمة تأييدا للرئيس المصرى المهزوم وتطالب بعودته للحكم؛ تماما كما فعلت الجماهير المصرية فى القاهرة وباقى المدن المصرية..

كان فاسيل يتابع الأحداث عن كثب ، ويتابع التحركات العسكرية فى المنطقة ، ويكتب تقارير يومية إلى رئاسته عن الموقف العام .. وفى خضم هذه الأحداث العالمية الهامة اتصلت أوديت بفاسيل وأخبرته أن ريمون يريد أن يقابله بصفة عاجلة ، وحددت له موعداً للقاء فى أحد الأماكن العامة فى بيروت ، وأخبرته أنها لن تتمكن من حضور هذا اللقاء نظراً لمشغوليتها ، ولكنها ستنتظر منه تليفونا بعد انتهاء المقابلة ..

كانت شكوك فاسيل تجاه ريمون لاتزال قائمة ، وزاد من شكوكه أن تطلب منه أوديت هذا اللقاء فى هذا الوقت بالذات ، إذ لم يكن

هذا الوقت مناسبا لعقد صفقات تجارية أو القيام بمشاريع ، فالمنطقة بأسرها فى حالة حرب حقيقية .. لذلك فقد ذهب إلى الموعد المحدد. كان وجه ريمون فى هذه المرة بشوشا بخلاف المرات السابقة ، كما كان مبالغاً فى ترحيبه بفاسيل .. ثم بادره قائلا :

ماهى أخبار الحرب عندك أيها الضابط الهمام ؟.. لابد أنك مشغول هذه الأيام فى كتابة التقارير عن الموقف العسكرى فى الشرق الأوسط ..

فرد عليه فاسيل بهدوء : نعم .. نعم ..

واستطرد ريمون : لقد طلبت مقابلتك اليوم فى وسط هذه الظروف الصعبة لنستكمل معا حديثنا السابق عن المشاريع التجارية ..

فرد عليه فاسيل : لكن الظروف الآن قد تغيرت ، وليس هناك مجال حاليا لأية مشاريع فى الشرق الأوسط ، فالمنطقة بأسرها فى حالة حرب !!..

فقال ريمون : إذن .. نغير نوع النشاط حسب الظروف الراهنة ! .

فتساءل فاسيل ماذا تقصد ؟ .. أنا لا أفهم ماتعنيه بالضبط !! ..

فأجابه ريمون قائلا : معلوماتى عنك أنك رجل ذكى ، بل شديد الذكاء ، ولذلك سوف أتحدث معك بصراحة ووضوح ، ونظراً للظروف الراهنة كما تقول ، فسوف أطرق الموضوع مباشرة ، فليس هناك مجال للتأخير أو اللف والدوران .. إننا جميعاً أبناء مهنة واحدة وهدفنا واحد .. ونحن نسعى لإقامة السلام فى الشرق الأوسط .. وهذا السلام لايتحقق إلا بالقوة.. والقوة تلزمها المعلومات ، وسوف

تساعدنا أنت في ذلك ... إن مصر والدول العربية لن تقوم لهم قائمة بعد الآن.. ويجب أن يظلوا كذلك إلى الأبد لكي يسود السلام والأمن في المنطقة ..

استمع فاسيل إلى هذا الحديث الغريب في ذهول تام ، إذ لم يكن يتوقع أنه سيواجه يوما بمثل هذا الموقف.. ولاحظ ريمون هذه الحيرة، فاستطرد قائلا : أنا متفهم للدهشة البادية على وجهك ، فأنت فوجئت بصراحتي معك .. وقد اتبعت هذا الأسلوب احتراما لك وتقديراً لذكائك .. فنحن نمارس مهنة واحدة كما قلت لك من قبل .. وأنت ضابط مخابرات كما أنني ضابط مخابرات !!.. وسكت ريمون وهو يحدق في وجه فاسيل الذي ظل صامتاً ، وبدت عليه علامات الدهشة والذهول والرهبة ، ثم قال متعجباً : ضابط مخابرات!! .. فأجابه ريمون : نعم .. وأنا لست لبنانيا كما قلت لك .. لقد كذبت عليك في اللقاء الأول؛ لأن الظروف لم تكن مواتية .. ولكني يوغوسلافي الأصل مثلك، وقد هاجرت من بلادكم إلى أرض الميعاد في إسرائيل .. لذلك فنحن متشابهان في الجنسية الأصلية ، وفي المهنة أيضاً .. أنت ضابط مخابرات يوغوسلافي .. وأنا ضابط مخابرات إسرائيلي .. وسكت قليلاً حتى يلتقط فاسيل أنفاسه ، ثم قال له :

إن تعاونك معنا يعتبر خدمه للسلام العالمي ولدول عدم الانحياز التي تنتمي أنت إليها .. فنحن نحتاجك ونحتاج إلى مساعدتك بشدة.. ولن تندم على ذلك ولن نكبدك أية مشقة ، وفي نفس

الوقت، فسوف نجزل لك العطاء.. سندفع لك مقابل خدماتك - أى أنه مشروع تجارى أيضاً .. ولكن فى اتجاه آخر !! ..

كان الذهول لا يزال يخيم على وجه فاسيل من أثر المفاجأة، فلم ينطق ببنت شفه مما ساعد ريمون على الاستطراد فى الحديث، فقال:
عزيزى فاسيل .. إن إسرائيل دولة ديمقراطية متقدمة ، وهى الآن تسيطر على مقاليد الأمور فى الشرق الأوسط ، وجهاز المخابرات الإسرائيلى «الموساد» من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ، ولن يضيرك التعامل معنا .. فسوف نحميك ونساعدك ،ولن تتكبد أية مشقة أو عمل إضافى .. بل نفس العمل الذى تقوم به فى بيروت ونفس المهام المكلف بها من قيادتك .. كل ما فى الأمر أنك ستعطينا صورة طبق الأصل منها .. يجب أن تكون رجلاً عملياً وواقعياً ، وأن تفكر فى المستقبل، فإنك لن تخون بلدك .. ولن تساعد أعداء ، ولكنك ستساعد أصدقاء لدولتك ، وفى نفس الوقت ستجنى من وراء ذلك الكثير .. وأنا لا أقصد المكسب المادى فقط .. ولكن أقصد أيضاً المكسب الاجتماعى والمهنى .. فإن لنا نفوذا كبيراً فى بلادكم ونستطيع أن ندفعك دفعاً إلى الرتب الأعلى لو أنك من أصدقائنا .. والعكس صحيح !! -

ولاذ ريمون بالصمت قليلاً حتى يستوعب فاسيل هذا التهديد ويفهمه جيداً ..

أخرج ريمون من جيبه ورقة صغيرة مدون بها عنوان منزل فى بيروت الشرقية ، وقال لفاسيل : عموماً ، سنترك لك فرصة للتفكير، حتى يمكنك اتخاذ القرار المناسب بمحض إرادتك وبما يتمشى مع مصالحك .. ولكننا فى عجلة من أمرنا .. إن حالة الحرب القائمة الآن فى الشرق الأوسط تجعلنا نتعجل الأمور حتى تستقر الأوضاع .. وموعدنا بعد باكر فى هذا العنوان فى الساعة الثامنة مساء .. وأن عدم حضورك سيكون معناه أنك رفضت التعاون معنا .. ولكننى أعلم جيداً مقدار ذكائك وحرصك على مستقبلك .. ولذا فسوف أكون فى انتظارك فى الموعد ...

انصرف ريمون تاركاً فاسيل غارقاً فى تفكير عميق ، لا يدرى كيف يتصرف .. وكيف الخروج من هذا المأزق الذى وقع فيه مصادفة .. وكيف تطورت الأمور بهذا الشكل الغريب !! .. إعجابه بفتاة جميلة ، ثم محاولة تجنيدها التى باءت بالفشل رغم نجاح العلاقة الشخصية بينهما .. ثم يجد نفسه متورطاً مع شبكه تجسس إسرائيلية تطلب منه التعاون معها كعميل .. وهو ضابط المخابرات الذى من المفروض أن يجند هو العملاء .. لا أن يكون عميلاً !! ..

ظل فاسيل فى مكانه لا يدرى كم مضى عليه جالساً هكذا .. ثم أفاق على صوت الجرسون يقدم له فاتورة الحساب ، التى دفعها وانصرف مباشرة إلى منزله .

لم يستقل فاسيل سيارته ، بل تركها وترجل سيراً على الأقدام حتى وصل المنزل حيث دخل غرفته واستلقى على السرير غارقاً فى

التفكير فى هذه المشكلة .. هل يبلغ رئاسته فى السفارة ، والمكتب الحربى بمحاولة تجنيده بواسطة « الموساد » أم لا ؟! إن إبلاغه السفارة بهذه المحاولة سيضعف موقفه ويهدد مستقبله الوظيفى .. فكيف يقع هو فريسة للفتاة التى حاول اصطيادها ؟ .. وكيف اختارته « الموساد» ورشحته لهذا العمل ؟ .. وما هى نقاط الضعف التى شجعتهم على اختياره وعرض العمل عليه ؟! وما هى التنازلات التى أعطاها لهم؟.. وما هى وسائل السيطرة التى فرضوها عليه ودفعتهم إلى تجنيده ؟! .. كل هذه الأسئلة لابد أنه سيواجهها من رؤسائه ، أو على الأقل ستدور فى أذهانهم إن هو أبلغهم بالقصة كاملة !!! ..

وفى نفس الوقت سأل نفسه : « إذا لم يبلغ رئاسته بالموضوع .. فهل يعمل مع الموساد أم لا ؟ .. وهل إذا رفض العمل معهم سيتركوه لحال سبيله أم سيهددوه فى عمله ؟ .. وهل لديهم ما يثبت تورطه معهم ولو بالقليل التافه ؟ .. وهل هناك ضمان لعدم افتضاح أمره أو ابتزازه إن هو وافق على العمل معهم ؟ .

وهل سيكون العائد المادى مجزياً أم لا ؟!.. » ..

لم يصل فاسيل إلى قرار فى هذا الموضوع الخطير وظل مبلبل الفكر حتى غلبه النعاس .. فأخلد إلى النوم حتى صباح اليوم التالى حيث استيقظ متأخراً على غير عادته ، على صوت زميله نرمين يخبره أنهما قد تأخرا عن العمل، فطلب منه فاسيل أن ينتظره ليذهب معه إلى السفارة حيث تعطلت سيارته ليلة أمس وتركها فى مكانها ..

توجه فاسيل إلى مكتبه واجماً على غير عادته .. وبدأ فى قراءة التقارير التى وردت ليلاً من وكالات الأنباء على « التكرز » .. كان يتأمل التقارير دون أن يستوعبها .. وظل على هذا الحال ليفيق على رنين التليفون بجواره ليفاجأ بصوت أوديت الرقيق وهى تقول له فى رقة زائدة : صباح الخير ..كيف حالك ؟ .. لقد أردت أن أسأل عنك وأسمع صوتك فقط هذا الصباح لأنك وحشتنى .. فأجابها :

– لابأس .. ولكننى مشغول بعض الشىء ..

– وكيف كانت سهرتك بالأمس ؟ ..

– جيدة . . . .

– إذن سنتقابل اليوم لتقص علىّ كل ما دار خلالها بالتفصيل.. ولأننى أريد أن أراك بشدة . .

– سأتصل بك بعد الظهر . .

– لا . . لا . . سوف أكون فى انتظارك فى المساء بالمنزل . . فلا تتأخر . .

– وهو كذلك .

توجه فاسيل إلي منزل أوديت وفى ذهنه العديد من الأسئلة التي يريد أن يوجهها إليها ، وتتزاحم فى رأسه استفسارات يريد لها إجابات صريحة واضحة .. كان منفعلاً . . شبه ثائر .. ليس علي أوديت فقط ولكن علي نفسه أيضاً . . كان شبه غاضب نتيجة للظروف والأقدار التي أوقعته في هذا المأزق ! ! ! . .

استقبلته أوديت بطريقة امتصت بها غضبه وثورته الدفينة .

حيث وجدها - كما أظهرت له - ثائرة وغاضبة . . ليس منه ، ولكن عليه . . فبادرته قائلة :

آسفة يا « فولى » - وهو الاسم الذى كانت تناديه به بعد أن توطدت بينهما العلاقة - .. لقد كنت مضطرة إلى ذلك ، فأنا مغلوبة على أمرى مثلك تماماً .. أنا أعرف مدى شعورك وانزعاجك أنا لم أكن أريد أن تسير الأمور بهذا الإيقاع السريع . . لكنها الظروف التى دعت إلى ذلك . . ومع ذلك هوّن عليك فإن المشكلة ليست بهذا السوء . . وأنت تستطيع أن تنسحب بهدوء وكأن شيئاً لم يكن .. !!

قال فاسيل بانفعال : لماذا أنا ؟.. فعلاً أريد أن أعرف لماذا أنا .. . ولماذا أنا بالذات ؟.. ماذا وجدتم فيّ وشجعكم علي ذلك ؟.. وأريد أن أعرف ما هو دورك أنت ؟.. وما هو موقفك ؟ ومنذ متي وأنت تعملين معهم ؟ . . وهل أنت فعلاً لبنانية أم إسرائيلية أيضاً ؟ ! ..

أجابت أوديت بهدوء : طبعاً لبنانية - قالتها بنبرة حزينة دفينة -ولكن الظروف هى التى ساقتنى إلى العمل معهم . . وأنا لست نادمة على ذلك .. إنهم أقوياء ، ويعرفون جيداً ماذا يفعلون ، وهدفهم واضح أمامهم بعكس العرب جميعاً المنغمسين فى شهواتهم وملذاتهم وخلافاتهم أيضاً . .

هذه قصة طويلة ليس الآن مجال سردها . . ولكن المهم أن لا تنزعج من هذا الموضوع .. إن موقفك أنت خلاف موقفى تماماً . . وأنت يمكنك الاستفادة من عملك معهم . . إنك لن تخسر شيئاً ،

ولن تخون أحداً . . وفي نفس الوقت سيكون لديك عائد مجزٍ .. إنهم يدفعون بسخاء لأمثالك الذين يعملون فى مواقع حساسة .. وفي نفس الوقت يمكنهم مساعدتك فعلاً للوصول إلي مركز مرموق .. إن لهم نفوذاً في بلاد العالم ، والصهيونية العالمية منظمة لا يستهان بها . .

وقطعت أوديت الحديث ثم سألت فاسيل : هل أحضر لك كأساً من البراندي الذى تحبه يا «فولى » ؟

– كلا .. كلا .. شكراً .. لا أريد أن أشرب اليوم فأنا أريد أن يكون ذهني صافياً لأفكر بعمق .. إنني لم أتخذ قرارى بعد .. ولكنني حضرت إليك لأعرف منك أشياء هامة . . وأعتقد أنك قلت كل ما عندك ولن تستطيعي أن تضيفي جديداً اليوم .. ولذلك أجدنى مضطراً إلي الانصراف الآن ! ! . . . .

– لا .. لا .. أرجوك .. ابق معى هذه الليلة . . فربما لا أستطيع أن أراك بعد ذلك . . فأنا لا أعرف التطورات القادمة .. إن علاقتنا الشخصية يجب أن تستمر مهما كانت الظروف .. إننى فى حاجة إليك هذه الليلة بشدة .. أريدك أن تحتوينى بين ذراعيك وتضمني إليك بشدة ! !.. تأثر فاسيل بكلام أوديت ونبرات صوتها فاستسلم لرغبتها وقرر البقاء ، حيث ضمهما الفراش ، ونامت أوديت بين أحضانه كقطة صغيرة تبحث عن الدفء والأمان . .! ! . .

كانت عقارب الساعة تقترب من الثامنة مساء يوم حار شديد الرطوبة فى بيروت ، وكان فاسيل يطرق باب شقة بالطابق الثانى لبناية كبيرة ضخمة والتى أعطاه عنوانها ريمون ، وبعد ثوان معدودة فتح الباب وأطل منه ريمون وكأنه كان متأكداً من الموعد ، فرحب بفاسيل ترحيباً حاراً ودعاه للدخول إلى غرفة الاستقبال ، قائلاً :

أنا أحب العسكريين لأن مواعيدهم مضبوطة للغاية، وكل شيء عندهم بنظام بخلاف المدنيين !!.. تفضل .. فدخل فاسيل إلى حيث أشار له ريمون حيث وجد شخصاً آخر يجلس فى الغرفة ، وقدمه إليه ريمون قائلا : شيمون صديق عزيز .. وزميل قديم .. ومسئول منطقة الشرق الأوسط بالجهاز (تبعنا) .. !!..

كان شيمون رجلا تجاوز الخمسين من عمره بقليل ، يرتدى حلة صيفية كاملة برباط عنق من النوع الفاخر ، بما أضفى عليه نوعاً من الوقار والاحترام ..

قال ريمون موجهاً حديثه إلى فاسيل : أرجو أن لا تكون قد تكبدت مشقة فى العثور على العنوان ؟..

– كلا .. إنه سهل جدا وواضح ، وأنا أعرف هذه المنطقة جيداً ..

– طبعاً حضرت فى تاكسى ، لأننى أعلم أن سيارتك لاتزال فى مكانها منذ أول أمس .. استوعب فاسيل هذه الملاحظة وعلم أنه مراقب من قبل جهاز مخابرات قوى يمتد نشاطه إلى خارج حدود دولته الصغيرة ... وقال :

- نعم .. إنه من الأفضل إذا كنت ذاهبا إلى مكان جديد فى بلد غريب أن تستخدم التاكسى : ولم يعلق على ملاحظة ريمون ولم يبرر سببا لتركه سيارته فى مكانها منذ أول أمس ..

عبر ريمون هذه النقطة ، واستطرد قائلاً : إن السيد شيمون حضر خصيصا اليوم لمقابلتك .. وسوف يعود صباح باكر عائدا الى الوطن!.. فقال فاسيل :

- يبدو أنك كنت متأكداً من حضورى مع أننا لم نؤكد الموعد .. وكان من الممكن أن يتكبد السيد شيمون مشقة السفر دون مبرر ....

- لقد كنت متأكداً من حضورك فى الموعد المحدد اعتمادا على حسن تقديرك للأمور ولأنك رجل ذكى ، وسوف تتخذ القرار السليم.. ولقد كانت نظرتى فى محلها .. وهأنت هنا معنا ، فمرحباً بك .

وهنا خرج السيد شيمون عن صمته ، وانبرى قائلاً :

- إننا نرحب بك ياسيد فاسيل كزميل معنا فى الجهاز .. أنت ستكون بلا شك مكسبا كبيرا لنا .. ومفيدا جدا فى صالح أعمالنا .. وفى المقابل سوف نكون نحن مفيدون لك إلى أقصى درجة .. وسوف تثبت لك الأيام صدق ذلك ، كما أنك لن تندم على قبولك العمل معنا .. وبالطبع أنت رجل مدرب ولا تحتاج لتدريب .. وكل ما هنالك أننا سنعرفك بمطالبنا واهتماماتنا .. أو بمعنى أصح احتياجاتنا. أما عن وسيلة الاتصال فسوف نعطيك عنوانا للتراسل بيننا فى فرنسا.. وباستخدام ورقة الكربون السرى هذه - وأخرج من جيب الجاكيت

مظروفاً صغيراً عليه عنوان التراسل فى فرنسا ، وبداخله ورقة بيضاء هى عبارة عن الكربون السرى .. واستطرد قائلاً :

طبعا أنت تعرف كيف تستخدم هذه الورقة .. فلابد أنك درستها من قبل أو أنك تستخدمها مع أعوانك ومندوبيك .

أما الوسيلة التالية – أو فى حالة الطوارئ السريعة والهامة – فيمكنك الاتصال بمندوبتنا أوديت فهى تعرف كيف ترسل إلينا المعلومات فى أسرع وقت ممكن ...

والنقطة الأخيرة التى أريد أن أتحدث معك فيها هى راتبك الشهرى وكيفية التمويل ، فهل نضع راتبك فى حسابك فى البنك فى بيروت؟.. أو نرسله باسمك إلى يوغوسلافية أو إلى أى بنك فى أى دولة أخرى حسب رغبتك ؟!.

قال فاسيل :

– لاهذا ولا ذاك .. أنا أريد مرتبى (كاش) وباليد ، وليس عن طريق البنك ، وهو كذلك .. سيصلك راتبك الشهرى باليد ، ولكن ليس كل شهر إنما كل ثلاثة أشهر لتسهيل مهمتنا فى كيفية توصيله إليك ، أما المبلغ فسوف يكون خمسمائة دولار شهرياً كخطوة أولى بخلاف المكافآت السنوية ، أو مكافآت التقارير الهامة الإضافية – وكل شىء له ثمنه – طبعاً المبلغ بسيط ، ولكن يجب أن نكون حذرين حتى لا تظهر عليك علامات الثراء مما يلفت النظر إليك !!.. فسأله فاسيل :

– وهل سترسلون الراتب عن طريق أوديت ؟..

فرد عليه شيمون :

– بالطبع لا .. ولتنس نهائياً موضوع أوديت هذه .. ولتكن ليلة أمس هى آخر ليلة تتقابلان فيها .. وقد كانت بلاشك – حسب معلوماتى – ليلة الوداع !!.. وقد أكدت هذه العبارة التى قالها شيمون أن فاسيل مراقب ..!!..

لم يعلق فاسيل على إجابة شيمون .. وأردف قائلا :

– ولكنى أتردد على المطعم بصفة مستمرة .. ويمكننى مقابلتها بشكل عادى فى البلد .. فرد عليه شيمون :

– ابتعد عن هذا المطعم نهائياً .. وإذا تصادف أن قابلتها فيستحسن أن تلقى عليها السلام بطريقة عابرة وعادية .. فهى سيدة معروفة فى بيروت ولها أصدقاء عديدون .. وليقتصر اتصالك بها على الحالات الاضطرارية !!.. أما راتبك ربع السنوى فسوف يصلك بطريقة ما .. إما بواسطة ريمون أو بأى وسيلة أخرى .. أما النقطة الأخيرة والأهم .. فهى موضوع إقامتك .. إذ يجب أن تستأجر لنفسك سكنا خاصا بعيدا عن زميلك وصديقك نرمين لأن وجوده معك فيه خطورة عليك .. ونحن من واجبنا حمايتك منذ هذه اللحظة ..

قال فاسيل :

– إن ذلك المطلب صعب فى الوقت الراهن ... فنظام السفارة معروف بالنسبة للمتزوج وغير المتزوج .. وإذا لم أقم مع نرمين فسوف أنتقل للإقامة مع شخص آخر .

فرد عليه شيمون :

– إذن تتزوج !!.. واعتقد أن لديك مشروعاً فى هذا الشأن .. !!..

قال شيمون تلك العبارة بثقة ..

– ولكننى لا أفكر فى الزواج الآن !!..

– ولاحتى من جوفانكا ..!!..

ـ جوفانكا !!.. وكيف عرفت هذا الاسم ؟ وماهى علاقة جوفانكا بهذا الموضوع ؟ .. هل هى أيضا تعمل معكم ..؟.. فقال شيمون ضاحكاً :

بالطبع لا .. لكن تحرياتنا الدقيقة عنك أوضحت لنا مدى ارتباطك بها ، وأنها هى الفتاة الوحيدة التى تراسلها فى يوغوسلافية بشكل منتظم منذ وصولك إلى لبنان .. وهى بلا شك فتاة رائعة ، وتصلح كزوجة ممتازة .. وإن زواجك منها سيحل كثيرا من المشاكل .. وسوف تستطيعان الإقامة فى شقة منفصلة تكون أكثر أمانا لصالح أعمالنا معا .. وأعتقد أن موعد إجازتك السنوية قد حل منذ فترة ، ولكن ظروف الحرب بالمنطقة هى التى حالت دون سفرك إلى يوغوسلافية فلا تتردد كثيرا فى الموضوع .. ويجب أن تتقدم بطلب إجازتك السنوية وتتزوج خلالها فى أسرع وقت ممكن .. وليكن شهر العسل فى قبرص أو اليونان وعلى نفقتنا الخاصة كهدية بسيطة لزواجك ..

صمت فاسيل ولم يرد على شيمون وبدت عليه علامات الموافقة والارتياح لمقترحات شيمون الذى استرسل قائلا :

– كل ما عليك أن تخبرنا عن موعد زواجك وسوف تصلك تذاكر وبرنامج الرحلة إلى منزلك .. ونعود الآن إلى النقطة الأساسية فى موضوعنا وهى الاحتياجات .

– إن احتياجاتنا تنحصر فى الآتى :

* كل مبيعات الأسلحة التى تبيعونها أو تهدونها إلى البلاد العربية – وخاصة مصر – لأن الزعيم المصرى جمال عبد الناصر استنجد بصديقه الرئيس تيتو لتعويضه عن الأسلحة التى فقدها خلال حرب الأيام الستة.

* البعثات العسكرية من الدول العربية إلى يوغوسلافيا للتدريب على أى نوع من أنواع الأسلحة ، وخاصة القوات الجوية والدفاع الجوى .

* صورة من التقرير الذى ترسله السفارة فى بيروت أو المكتب الحربى الذى تعمل به إلى رئاستكم فى يوغوسلافيا، وأنا لا أقصد بذلك صورة فوتوغرافية لأن ذلك ضد إجراءات الأمن، لكننى أعنى نقل المعلومات الواردة به بعد ترجمتها أو بدون ترجمة ، وتعيد كتابتها فى خطاباتك لنا على فرنسا باستخدام الكربون السرى .

* المعلومات التى يمكنك الحصول عليها من باقى أعضاء السفارات الأجنبية فى بيروت ، سواء السفارات التابعة لدول أوربا الشرقية أو الغربية أو القوتين الأعظم أو دول عدم الانحياز أو السفارات العربية ، على أن تكون المعلومات كاملة وبالنص، أى بدون اختصار مهما كانت المعلومة تافهة .. أو عادية .. أو مجرد إشاعات عابرة .. أو

فكاهات ترفيهية .. كل ذلك بدون تحليل من عندك .. وهناك مطالب أخرى سوف نطلبها منك فى حينها حسب ما يستجد من ظروف .. على أن يصلنا منك خطاب كل خمسة عشر يوماً على الأقل - أى مرتين فى الشهر - وذلك بالطبع خلاف حالات الطوارئ .

انتهى اللقاء بعد منتصف الليل بقليل ، ثم دارت مناقشات عابرة تناولت حياة فاسيل الشخصية ، وأعضاء السفارة اليوغوسلافية فى بيروت ، وكذا أعضاء المكتب الحربى الذى يعمل به .. وكانت هذه المناقشات التى كان يديرها شيمون تأخذ طابع الدردشة العادية ، وأحياناً كثيرة يغلب عليها طابع الاستجواب - وكان ريمون يتدخل فى هذه المناقشات من وقت لآخر لتهدئة الجو أو الرد على بعض استفسارات شيمون عن بعض المعلومات التى يعرفها هو أو سبق له أن أثارها مع فاسيل ..

وفى النهاية تصافح شيمون وريمون مع فاسيل بحرارة .. وقبل أن ينصرف الأخير أخرج شيمون من جيبه مظروفاً بداخله مبلغ ١٥٠٠ دولار وسلمه إليه قائلا :

- هذا راتب الأشهر الثلاثة القادمة مقدما عربونا لصداقتنا ، وتعاوننا معا ، وانصرف فاسيل عائدا إلى منزله بعد أن تحول إلى عميل محترف !!!.

شهر عسل في رودس :

استمر فاسيل في بيروت حتى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٧ ، وكانت الأحوال في الشرق الأوسط قد استقرت بعض الشيء بعد مرور خمسة أشهر تقريباً على العدوان الإسرائيلي على الدول العربية وسريان وقف إطلاق النار ، وعند ذلك تمكن فاسيل من الحصول على إجازته السنوية التي كانت قد تأخرت كثيراً بسبب هذه الظروف، ولم ينس أن يشير في طلب الأجازة الذي قدمه إلى الملحق الحربي اليوغوسلافي في بيروت إلى عزمه على الزواج في خلال هذه الإجازة، وأنه سيعود في نهاية شهر أكتوبر ١٩٦٧ مع زوجته الجديدة، ليتمكن من الحصول على موافقة بتجهيز شقة خاصة له منفصلة عن زميله نرمين الأعزب ، ليقيم فيها مع عروسه ..

وقبل قيام فاسيل بإجازته السنوية بعث برسالة إلى والده ووالدته يخبرهما بموعد وصوله في إجازة واعتزامه الزواج خلالها .. ولم يذكر لهما اسم العروس المرتقبة .

– وقد سعد والداه بهذا النبأ سعادة غامرة ..

وبالطبع كانت جوفانكا أول من علم بهذا النبأ ، أرسل لها خطابا خاصا عاجلا طالبا يدها وأوجز طلبه في كلمتين كما لو كانت برقية، قال فيه :

(هل توافقين على الزواج مني ؟!!.. سأحضر في الأسبوع الأخير من نوفمبر !!) .

ووصله ردها فى خطاب موجز كأنه برقية أيضاً ، قائلة :
(أوافق .. سأنتظرك !!!) .

تمت مراسم الزفاف فى بلجراد بعد أسبوع واحد من وصول فاسيل ، وانتقل العروسان إلى أحد الموتيلات الصغيرة خارج العاصمة لقضاء شهر العسل ، وفى اليوم التالى مباشرة فوجئ فاسيل بإحدى شركات السياحة تتصل به فى الفندق لتبلغه بأن تذاكر السفر والفاوتشر (حجز الإقامة بالفندق) فى جزيرة رودس جاهزة طرفهم وأنه قد تم حجز مكانين على الطائرة المغادرة إلى اليونان بعد خمسة أيام !!! ...

دهش فاسيل عند تلقيه هذا النبأ ، لكنه سرعان ماتذكر وعود شيمون ودعوته له لقضاء عدة أيام فى رودس على نفقة المخابرات الإسرائيلية ، وحينئذ اعتراه شىء من التوتر ، وشعر بنوع من الرهبة لإحساسه بمراقبتهم له ، وتوصلهم إلى مكانه فى هذا الموتيل البعيد عن العاصمة ..

أخبر فاسيل عروسه جوفانكا أن تستعد للسفر ، وأبلغها أنه قام بترتيب هذه الرحلة خصيصاً لقضاء شهر العسل .. وأنه لم يخبرها بذلك حتى تكون مفاجأة لها وهديتها بمناسبة زواجهما !!! ...

كانت الرحلة إلى رودس نوعا من الرفاهية لم يتعود عليه فاسيل أو جوفانكا إذ وجدا نفسيهما فى فندق خمسة نجوم بالجزيرة الجميلة الساحرة .. وعندما صعدا إلى الغرفة المخصصة لهما بالفندق وجدا بها

باقة من الورد الفاخرة مثبت بها بطاقة تهنئة بالزواج وسلامة الوصول بتوقيع مدير العلاقات العامة بالفندق ..

كانت هذه الرحلة المجانية لفاسيل ممتعة من كل الوجوه ، بالرغم من إحساسه بوجود بصمة شيمون فى كل مكان وكل تصرف خلالها .. أما جوفانكا فقد كانت سعيدة جدا بهذه اللفتة الرائعة من زوجها وممتنة له كل الامتنان .. ولكنها لاحظت عليه كثرة التفكير والسرحان التى لم تتعودهما منه قبل ذلك ، وعندما قالت له تعليقا على هذه الحالة : (أظن أن لبنان غيرت كثيرا من صفاتك فأنت الآن أكثر هدوءا وأعمق تفكيرا) .

لقد كان من المفروض أن تتغير إلى الأحسن فتصبح أكثر مرحا وأكثر تفاؤلا بعد معاشرتك لأهل لبنان بروحهم المرحة وتفاؤلهم اللامحدود .. أم أن الزواج قد أضاف عليك بعض الأعباء ؟!!.. أم إنك تسرعت فى عرض الزواج علىّ واتمامه بهذه السرعة !!.. إنك غير طبيعى يافولى) .

لم يرد عليها فاسيل .. ولكن مناداتها له باسم فولى قد عاد بذاكرته إلى أوديت التى كانت تناديه بهذا الاسم !!.. ولما شعر بأن زوجته تحلل شخصيته الجديدة قال لها :

– أبدا .. أبدا .. بالعكس .. لقد أصبحت أكثر نضجاً وإحساسا بالمسئولية وهذه صفات من المفروض أن تبعث فى نفسك السرور ولا تسبب لك قلقا ، كل ما فى الأمر أن نشوب الحرب فى الشرق

الأوسط أثناء فترة تواجدى فى لبنان قد أزعجنى كما أرهقنى فى العمل .

انقضت إجازة فاسيل كلمح البصر . تجمعت خلالها كل أنواع البهجة والانفعال والتوتر وكل المشاعر الجياشة ، فهى أول إجازة يمضيها فى الوطن بعد غياب دام ما يقرب من سنة ونصف السنة ، وهو الذى لم يتعود على السفر أو الغربة أو البعد عن أهله ومنزله .. وفى نفس الوقت فهو يشعر بالفخر لنجاحه فى الوصول إلى هذا المنصب المرموق .. فها هو ذا يعمل ضابطا فى القوات المسلحة وفى فرع من أهم فروعها ، ويشغل وظيفة خارج بلاده لها مزايا مادية ومعنوية يحسده عليها العديد من أقرانه وأصدقائه ومعارفه ..

ومن جهة أخرى فهو يشعر بالاضطراب والرهبة حيث إنه مقدم على عمل غير قانونى يعلم جيدا مدى خطورته ، رغم أنه تذوق حلاوته وفوائده .. وفى وسط كل هذه المشاعر كان هناك زواجه والحياة الجديدة التى لم يتعود عليها والتى تقيد حريته بعض الشىء وتضعه أمام بعض الالتزامات الهامة ..

تداخلت انفعالات فاسيل وتشعبت ، فأكسبته فى النهاية نوعا من التبلد وعدم المبالاة .. فقرر أن يمضى فى طريقه دون أن يطلق لعواطفه العنان ..

الحياة الثانية في« بيروت "

تغيرت حياة فاسيل بعد عودته إلى بيروت في نهاية عام ١٩٦٧ بشكل ملحوظ حيث أقام في شقة مفروشة استأجرها في مكان لايبعد كثيرا عن مسكنه الأول بمنطقة الصنايع ، وانتظمت حياته ومواعيده بعض الشيء مع جوفانكا التي حصلت على إجازة من عملها في بلجراد لتلحق بزوجها في بيرت ، وعلى أمل أن تجد لها الخارجية اليوغوسلافية عملا في سفارة بلادها في لبنان .

بدأ فاسيل في توسيع دائرة معارفه الاجتماعية بوصول زوجته التي أقامت لها سيدات أعضاء السفارة حفل تعارف ضم العديد من الشخصيات النسائية اللبنانية والأجنبية .. ثم بدأت جوفانكا الحضور مع زوجها إلى جميع الدعوات التي توجه إليهما للعشاء أو الكوكتيل بصفة غير رسمية كونه غير دبلوماسي بالسفارة ، وكانت جوفانكا بلا شك عونا لزوجها في تنظيم حياته العملية والاجتماعية مما ساعد فاسيل على التفرغ لعمله واتصالاته في بيروت ، فكان له نشاط ملحوظ أشاد به رؤساؤه وأرجعوا ذلك إلى حالة الاستقرار التي عاشها بعد الزواج ..

كما انتظمت في نفس الوقت اتصالات فاسيل مع الموساد وواظب على إرسال التقارير إليهم ملبيا بنود الاحتياجات التي سبق أن طلبوها منه ، وكانت خطاباته بالكربون السرى ترسل إلى باريس كل أسبوعين تقريباً ، وكان يقوم بكتابة تلك التقارير في منزله ليلا بعد أن تخلد زوجته إلى النوم .. وكان يخفي ورق الكربون السرى في درج

مكتبه الخاص بالمنزل داخل كتاب عبارة عن قصة للأديبة الفرنسية فرانسواز ساجان .. وكان فاسيل يحاول فى اتصالاته مع الموساد أن يوضح لهم الجهد الذى يبذله للحصول على هذه المعلومات فلم تكن تقارير طبق الأصل من تلك التى كان يحصل عليها من السفارة أو المكتب الحربى ويقوم بترجمتها وإرسالها إليهم ، بل كان يضيف إليها تعليقاته ورأيه الشخصى !!! ...

انقضت ستة أشهر من آخر لقاء بين فاسيل وشيمون فى بيروت والذى حصل في نهايته علي مرتب ثلاثة أشهر مقدما .. وقد اعتبر فاسيل أن مرتبه الشهرى الذى سيدفع كل ثلاثة أشهر سيصله مقدماً.. ولكن انقضت الأشهر الثلاثة الأولى والأشهر الثلاثة التالية دون أن تصله أية مبالغ .. لذلك فقد أرسل فى نهاية خطابه السرى الأخير يقول :

«لم أتسلم راتبى منذ ثلاثة أشهر .. أرجو إبلاغى عن السبب!!» .

وجاء الرد عن طريق اللاسلكى بعد ثلاثة أيام فقط .. وكان فاسيل يستمع يومياً إلي تردد معين علي الموجة القصيرة بالراديو في تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. وكان شيمون قد أعطاه هذا التردد في ورقة صغيرة في نفس الوقت الذي سلمه فيه ورقة الكربون السري في لقائهما الأخير ، وأفهمه أن استقباله اليومي للإشارات أو الرسائل الواردة من إسرائيل سيرفع من روحه المعنوية حيث يشعره بتواجدهم معه في كل يوم ، حتي ولو لم تكن هناك رسائل ، كما أخبره أنه سيتم النداء من المحطة الرئيسية إلي المحطة

الفرعية بنداء كودي علي التردد المخصص لها لمدة قصيرة .. وإذا لم يكن هناك إشارة أو رسالة موجهة من المحطة الرئيسية إلي المحطة الفرعية فسيتم النداء علي المحطة الفرعية باسمها الكودي مضافا إليه رقم «٢٥» .. أما في حالة وجود إشارة فستنادي المحطة الرئيسية علي المحطة الفرعية باسمها الكودى مضافاً إليها كلمة «رسالة » .. وإذا كانت هناك أكثر من رسالة فستنادى الرئيسية على الفرعية باسمها الكودى مضافا إليه (٢رسالة) أو (٣رسالة) .. الخ ....

أما الرسالة الشفرية نفسها فسوف ترسل على هيئة مجموعات تنطق بالصوت حرفين .. حرفين على طريقة الاتصالات الدولية للطيران .

ثم قام ريمون بعد ذلك الشرح المطول من شيمون بتدريب فاسيل على كيفية حل الرسائل الشفرية باستخدام كتاب فرنسى عن قصة للكاتبة الفرنسية فرانسواز ساجان بعنوان : (مرحبا أيها الحزن – أو بونجور تريستس – "Bonjour Tristesse") وهى من أشهر قصص هذه الكاتبة الفرنسية المعروفة ..

ولم يستغرق تدريب فاسيل على حل الشفرة باستخدام الكتب وقتا طويلا، فهو رجل مدرب أصلا وإن كان الأسلوب يختلف من جهاز مخابرات إلى آخر .. وكان فاسيل يستمع يومياً إلى هذا التردد سواء قبل الزواج فى غرفته أو بعد زواجه من غرفة مكتبه فى الشقة الجديدة.. كما كان يحل الإشارات – فى حالة وجودها – ثم يقوم بحرق الأوراق بكاملها ..

كانت الرسالة فى ذلك اليوم قصيرة للغاية ، وكان الرد على خطابه مقتضبا حيث قال شيمون فى الرسالة الشفرية :

(إن الجائزة تسلم للفائز بعد انتهاء السباق .. وما تم فى المدة السابقة كان استثناء وليس هو الأساس .. وأن المطلوب سيصلك عاجلا .. ولا داعى للقلق) ..

وقد أثار هذا الرد حفيظة فاسيل ولكنه كظم غيظه فهو لايستطيع أن يفعل شيئا الآن .. فقد سبق السيف العزل !!..

وفى أوائل عام ١٩٦٨ وصل ريمون إلى بيروت ، واتصل بفاسيل فى منزله الجديد وطلب مقابلته فى أحد المطاعم المشهورة فى بيروت وحدد الموعد فى مساء نفس اليوم .. وقد فوجئ فاسيل إذ أنه لم يتسلم أية إشارة تفيد وصول أى شخص إليه .. وفى الموعد المحدد توجه فاسيل بسيارته إلى مكان اللقاء وأوقف سيارته فى ساحة الانتظار بجوار المطعم .. وقبل أن يدخل فوجئ بسيارة تاكسى تقف قريبا منه وبداخلها ريمون الذى طلب منه الركوب ، فدخل فاسيل السيارة التاكسى مسرعا خشية أن يراه أحد ، حيث اصطحبه ريمون إلى شقة مفروشة فى وسط العاصمة .. وهى خلاف الشقة التى التقيا فيها آخر مرة .. وهناك دار حديث ساخن بينهما ..

قال ريمون :

لقد استغربنا طلبك للنقود قبل حلول الموعد المحدد .. إن مواعيدنا ثابتة ومضبوطة ولا يمكن أن نؤخر لأى شخص حقه طرفنا .. ومن الواضح أنك أخطأت التقدير ، إن راتبك سيصلك حسب الاتفاق كل

ثلاثة أشهر ، وبعد انقضاء الأشهر الثلاثة تماما ستصلك النقود وليس قبل ذلك .. أما بخصوص المبلغ السابق إعطاؤه لك فقد كان دفعة مقدمة حتى تشعر بالارتياح والأمان، وأن حقوقك طرفنا مضمونة، وهأنذا هنا لأعطيك راتب الأشهر الثلاثة الماضية ، رغم ما نتكبده من مشقة ومصروفات وخطورة أيضا ، لأن كثرة ترددى على بيروت ربما يثير انتباه أجهزة الأمن هنا .. وهذا أمر خطير للغاية ..

قال فاسيل :

– ربما أكون أسأت الفهم فى هذا الشأن .. وفى الوقت نفسه فأنا فى حاجة إلى نقود نظرا لازدياد أعبائى المالية بعد زواجى الذى تم بناء على نصيحتكم لى .

فرد ريمون : لقد باركنا الزواج وقدمنا لك الهدية (وكان يقصد رحلة رودس) .

– طبعا أنا أشكركم على تصرفكم معى بخصوص الرحلة ، ولعلكم تدركون أن أعباء الزواج ومصاريف الانتقال إلى الشقة الجديدة قد كلفتنى كثيرا مما دفعنى إلى استعجال إرسال النقود .. على أساس أنها تدفع مقدما وليس مؤخرا .

– عموما ليس بيننا خلاف جوهرى .. ومن واجبنا مساعدتك حتى نخرجك من عنق الزجاجة .. وقد سبق أن أخبرك شيمون أنه سيصرف لك مكافأة خلاف الراتب فى حالة إمدادنا بمعلومات هامة أو إضافية تزيد عن الاحتياجات العادية ، ولكنك حتى الآن لم تفعل شيئاً !!!..

– لقد أرسلت لكم فعلاً معلومات هامة خلال الفترة الماضية بخلاف احتياجاتكم ..

– ولكنها لم تكن معلومات ذات فائدة .. ويكفى أنك لم تبلغنا بصفقة سيارات النقل التي أرسلتموها إلي الجيش المصرى فى نهاية العام الماضي والتي كان نصفها منحة من حكومتكم ..

– أنا لم أعلم شيئاً عن هذه الصفقة .. ربما تكون قد تمت وأنا فى الإجازة السنوية .. كما أن اللواري أو سيارات النقل العسكرية ليست لها أهمية كبيرة فهي ليست مسلحة ، أو عربات مدرعة مثلاً!! ..

– كل شيء له أهميته بالنسبة لنا .. وهذه السيارات وإن كانت غير مسلحة فهي تستخدم في نقل الأسلحة والذخيرة والأفراد .. وأنت تعلم أن المصريين ينقلون سراياهم المشاة في عربات نقل عادية وليست عربات مدرعة كالجيوش المتقدمة .. لذلك فهذه المعلومة لها أهميتها بالنسبة لنا .

– وهو كذلك .. سأسأل عنها لمعرفة بعض التفاصيل ثم أوافيكم بها في أقرب فرصة ممكنة .

قام ريمون بتسليم فاسيل مبلغ ١٥٠٠ دولار وهى أجره عن الأشهر الثلاثة الماضية .. وطلب منه التوقيع على إيصال بالاستلام .. وعندما استفسر فاسيل عن السبب في هذا الإجراء الغريب ، وأنه لم يوقع على إيصال عندما سلمه شيمون المبلغ السابق – قال له ريمون:

– إن شيمون رئيسى فى العمل وهو حر فى تصرفاته .. أما أنا فيجب أن يتأكد رئيسي من أنني قد سلمتك المبلغ ، وهذا إجراء عادي وروتينى .. ألست تفعل أنت ذلك مع أصدقائك .. أو عملائك ؟ !!

– طبعاً نستخدم هذا الأسلوب في بعض الأحيان كوسيلة من وسائل السيطرة، فهل هذا هو المقصود بالنسبه لي ؟ ! ..

قال ريمون :

لا .. أبداً .. إنما هو الروتين في الجهاز فقط .. أما بالنسبة لك فأنت الآن تعامل علي أنك زميل وليس عميلا ، ووضعك معنا حالياً علي هذا الأساس ، ولا يمكن أن نستخدم هذا الأسلوب معك .

وانتهت المقابلة بين فاسيل وريمون عند هذا الحد .. وبعد أن سلمه ريمون كشفاً جديداً به بعض الاحتياجات وطلب منه أن يقرأه جيداً ويحفظ ما يحتويه ، ثم يقوم بإحراق هذا الكشف حتى لا يطّلع عليه أحد ..

نزل فاسيل بمفرده من الشقة واستقل تاكسيا إلى مكان المقابلة الأصلى واستقل سيارته عائداً إلى منزله .

مرت الأيام والشهور التالية وفاسيل يداوم الاتصال بالمخابرات الإسرائيلية لإمدادهم بكل المعلومات المتوفرة لديه .. وقد تطورت احتياجاتهم بعد ذلك لتشمل طلب معلومات من صميم عمل جهاز المخابرات اليوغوسلافى .. بل وعن موضوعات سياسية خاصة بالدولة.. وعن أشخاص بعينهم يشغلون وظائف هامة فى الحكومة أو الجيش

اليوغسلافى ، وكان ذلك مثار نقاش بين فاسيل وريمون فى إحدى المقابلات العابرة فى بيروت - حيث قال فاسيل :

إن مفهومى عن العمل معكم يدخل فى إطار التعاون لمنع نشوب حرب أخرى بينكم وبين جيرانكم العرب !! .. وهذا لا يدخل - من وجهة نظرى - تحت بند الخيانة .. أما طلباتكم الأخيرة فهى تمس مصلحة بلدى بشكل مباشر وأنا لا أقبل ذلك .. كما أننا لم نتفق على ذلك أساساً !!! ..

- إن المعلومات التى طلبناها منك معلومات سياسية .. والسياسة والاقتصاد والحرب شيء واحد .. إن سياسة بلادكم ضمن دول عدم الانحياز ، وتشجيعكم للدول العربية ومساعدتكم لها ، ومقاطعتكم السياسية لبلادنا .. كل ذلك يؤثر بشكل مباشر على مسيرة السلام والحلول المعروضة .. لذلك فكلها أشياء مرتبطة بعضها ببعض ، ويجب أن تقتنع بهذا حتى لايؤثر ذلك على مجهودك وعملك معنا .

سكت فاسيل وأذعن للأمر الواقع .

إنهاء الانتداب فى لبنان :

قضى فاسيل ثلاث سنوات فى لبنان وهى فترة الانتداب القانونية وقد مرت كلمح البصر ، كأنها أيام قليلة .. فقد كانت الأحداث خلال هذه السنوات سريعة الإيقاع عميقة التأثير .. كانت كأنها حلم جميل فى بعض الأحيان ، أو كابوس مزعج أحيانا أخرى كثيرا.. قضى فاسيل هذه الفترة فى انفعالات وصراعات ومغامرات!!..

وقبل أن يغادر بيروت تم لقاء هام بينه وبين ضابط المخابرات الإسرائيلى لإعادة تلقينه وتدريبه لاستمرار العمل معهم بعد عودته إلى بلاده .. وقد تغيرت بطبيعة الحال احتياجات الموساد تبعا لهذا ، كما تغيرت وسائل الاتصال وطرق التمويل .

بدأ تشغيل فاسيل فى بلجراد .. وكان فى هذه المرة أكثر حرصا وأقل تحركا .. إذ كانت المعلومات فى متناول يده بحكم عمله فى جهاز المخابرات اليوغوسلافى مما أتاح له حرية التجول والاطلاع على الكثير من التقارير الهامة التى تحمل درجة سرية عالية .. كما كانت له دائرة اتصالات واسعة فى يوغوسلافيا سواء فى المجال العسكرى أو المدنى ..

تغير أسلوب إرسال المعلومات إلى الموساد .. كما تغير أسلوب التمويل اليدوى كل ثلاثة أشهر .. كما اقتصرت وسيلة الاتصال اللاسلكى من المخابرات الإسرائيلية إلى فاسيل على الاستماع إلى جهاز الراديو العادى يوميا ، ولكن على تردد آخر وتوقيت مختلف ، فقد أصبح التوقيت فى تمام الحادية عشرة مساء .. أما وسيلة إرسال المعلومات أو تسلم النقود فقد كانت تتم باستخدام «العوازل» ، وهى عبارة عن مكان ثابت متفق عليه يمكن حفظ الرسالة فيه بسهولة ، كما يمكن الوصول إليها دون مشقة .. توضع الرسالة فى مكان ما متفق عليه .. كما يمكن استخدام موظف فى محل أو بائع فى كشك سجائر تترك عنده الرسالة ثم يأتى شخص آخر لاستلامها .. والذى يمكن أن يكون على علم بهذه العملية السرية ومشترك فيها

ومجند من أجلها .. كما يمكن أن يكون غير عالم بها أى لايدرى أنه يقوم بعمل الوسيط أو الاشتراك فى العمل السرى ، وتستخدم هذه الإجراءات فى العمليات أو المقابلات السرية للفصل بين العميلين السزيين فى حالة مراقبة أحدهما .. ولإتمام هذه الاتصالات السرية التى يطلق عليها اسم (العوازل) .. يقوم شخص ما بوضع رسالة فى هذا المكان بعد التأكد من عدم وجود مراقبة عليه .

كان فاسيل يضع رسائله فى هذه النقاط كل ١٥ يوما تقريبا، حيث يقوم مندوب من المخابرات الإسرائيلية بالتقاطها بعد أن يقوم فاسيل بوضع علامة فى محل سكنه تدل على إنهاء عملية الشحن ، وهذه العلامة عبارة عن فوطة ذات لون بنى غامق فى شرفة الشقة التى يقيم بها فى بلجراد .. وكان يتسلم راتبه كل ثلاثة أشهر بنفس الطريقة أيضاً .. حيث يوضع له الراتب فى « نقطة التقاط ميتة» متفق عليها ، ويقوم بإعطاء إشارة تليفونية بتمام عملية الشحن حيث يتوجه فاسيل إلى المكان المحدد بعد أن يجرى عده عمليات لكشف المراقب.. ثم ينفذ بعد ذلك عملية التفريغ أو التقاط الرسالة أو الظرف الذى يحتوى على الراتب المخصص له ..

لم ينقطع فاسيل عن الاتصال بالموساد لحظة واحدة منذ عودته إلى بلاده ، فكانت الاتصالات كما هى .. والاستماع إلى الرسائل أو النداءات اليومية كما هى وبدأت المعلومات التى يرسلها إلى المخابرات الإسرائيلية تأخذ طابعاً آخر ، وتتركز فى المعلومات الهامة عن يوغوسلافيا نفسها وتنظيماتها ومساعداتها للدول العربية بشكل عام .

–وكانت بعض هذه المعلومات هامة جداً ، ولها تأثير كبير وفعال لصالح أعمال المخابرات الإسرائيلية .. كما كان لها فى نفس الوقت أضرار بالغة على الأمن القومى اليوغوسلافى .

أزمة فى المخابرات اليوغوسلافية :

فى أحد الأيام الباردة من شتاء عام ١٩٧٠ كان هناك اجتماع على مستوى عال يضم رجال المخابرات العسكرية اليوغوسلافية ورجال أمن الدولة المسئولين عن مكافحة التجسس والتخريب ..

وكان الهدف من هذا الاجتماع هو دراسة نتائج التحقيق فى حادثى التخريب اللذين وقعا فى منطقتين مختلفتين فى يوغوسلافيا ، وفى وقت واحد من صباح اليوم السابع من فبراير عام ١٩٧٠ وفى أكثر الأماكن سرية على الإطلاق !!! ..

وقع الحادث الأول فى قاعدة جوية بالقرب من مدينة « زغرب » بشمال يوغوسلافيا وهى قاعدة كانت مخصصة لتدريب الطيارين السوريين ، حيث انفجرت عبوة ناسفة بميس الطيارين نجم عنها وفاة ملازم أول طيار سورى الجنسية وإصابة أربعة آخرين من بينهم مدرب السرب اليوغوسلافى .. ونظراً لإجراءات الأمن المشددة المضروبة حول هذه القاعدة فقد اعتبر هذا الحادث من أخطر الحوادث التى تمت فى يوغوسلافيا خلال العشرين عاماً الماضية ..

وفى نفس وقت وقوع الحادث الأول تقريباً انفجرت عبوة ناسفة أخرى فى مركز لتدريب الفدائيين الفلسطينيين بمنطقة « كوسوفو »

جنوب البلاد نتج عنها أيضاً بعض الأضرار المادية والبشرية .. وكانت أصابع الاتهام تشير إلى تورط المخابرات الإسرائيلية « الموساد » فى هاتين الحادثتين نظراً لأهمية الموقعين وتأثيرهما على المجهود الحربى الإسرائيلى ..

أسفر التحقيق عن إثبات وجود معلومات دقيقة عن هذه الأماكن السرية للغاية لدى الموساد ، وبالتالى كان الاعتقاد السائد هو وجود عميل هام للموساد داخل أجهزة الأمن اليوغوسلافية ، أو يعمل فى مكان حساس داخل القوات المسلحة !! ..

انفض الاجتماع بعد وضع الخطوط الرئيسية لخطة البحث والتحرى داخل الدولة للوصول إلى الثغرة التى نفذت منها المخابرات الإسرائيلية، ووضع يد أجهزة الأمن على هذا العميل .. وبدأ العمل فى سرية، واستمر لعدة شهور دون التوصل إلى نتيجة هامة فى هذا الشأن !!!..وقد أثار هذا الحادث غضب فاسيل كما أثار مخاوفه أيضا .. فقد كان هو مصدر هذه المعلومات التى أرسلها إلى الموساد .. ولكنه لم يكن يتوقع أن تقوم إسرائيل بهذا العمل العدوانى داخل بلاده .. وليتحمل هو وزر من قتلوا أو أصيبوا .

- لم يكن فاسيل يتخيل أن يكون رد الفعل الإسرائيلى بهذه السرعة .. فلم يمضِ على الخطابات السرية التى أرسلها إلى الموساد سوى ثلاثة أسابيع فقط والتى أبلغهم فيها بوجود بعض الضباط السوريين بالقاعدة الجوية للتدريب على الميج فى (زغرب) ، وأن السلطات اليوغوسلافية تفرض عليهم نطاقا من السرية والأمن وتمنع

خروجهم من القاعدة ونزولهم إلى المدينة ، وأنها أفرغت القاعدة لتقتصر عليهم فقط وعلى أطقم التدريب التى تساعدهم .. كما أخبرهم بوجود مجموعة من الشباب الفلسطينى يقومون بالتدريب على استخدام السلاح وتجهيز العبوات الناسفة والدوريات وذلك داخل معسكر خاص بالكشافة بمنطقة (كوسوفو) وأن المعسكر قد أحيط بالسرية التامة ، كما فرضت عليه احتياطات أمن مشددة ، وأن عمر هؤلاء الشباب يتراوح بين ١٦ – ٢٥ سنة .. وقد أرسلت كل معلومة من هذه المعلومات فى خطاب منفصل وبفارق خمسة عشر يوما .. لذلك فقد ازداد قلق فاسيل وامتنع عن إرسال أية معلومات إلى الموساد لمدة ثلاثة شهور كاملة .. وكانت تصله رسائل شفرية عن طريق الراديو للاطمئنان عليه وحثه على إرسال معلومات وتطمئنه .. ولكنه رد عليهم فى خطاب موجز بعدم رضائه عن الإجراء الذى اتخذ فى القاعدتين وعلل عدم إرساله المعلومات إلى نشاط المخابرات اليوغوسلافية للتحرى عن أسباب وقوع الحادثتين ، وشخصية مرتكبيها .. وكذلك كيفية تسرب المعلومات ..

وما لبث فاسيل أن استأنف نشاطه فى إرسال المعلومات بعد أن وصله مبلغ كبير من المال كمكافأة على المعلومات السابق إرسالها ، مما أسال لعابه واضطره إلى الرضوخ لمطالبهم !!

"فاسيل" فى أرض الفراعنة :

ظل فاسيل حوالى عام فى يوغوسلافيا ، سعى خلاله جاهدا أن يكون انتدابه الثانى إلى مصر .. فهى من وجهة نظره أكبر وأقوى دولة فى المنطقة.. وبما أن إدارته مسئولة عن منطقة الشرق الأوسط .. وبما أنه أجاد إلى حد ما التحدث باللغة العربية ، فقد أراد أن يكون مكانه الجديد فى مصر ، وقد شجعه على ذلك أيضا شيمون الذى وعده ، بمضاعفة راتبه الشهرى إن هو تمكن من الذهاب والعمل فى مصر حتى يكون فى قلب الأحداث ، وفى داخل أكبر دولة تعمل لها إسرائيل ألف حساب .. كما وعده بمساعدته ..

لم تكن هناك صعوبة فى تلبية رغبة فاسيل للعمل فى القاهرة .. حيث إنها كانت من وجهة نظر الكثير من زملائه غير مرغوب فيها كونها فى حرب مع إسرائيل، وأن جزءا كبيرا من أراضيها لازال تحت الاحتلال الصهيونى ، وبالتالى فإن احتمالات اندلاع الحرب قائمة ، بل ومؤكدة كما ورد فى كثير من التقارير ، ولاداعى إلى التهافت على العمل فى منطقة يخيم عليها شبح الحرب .. بينما هناك العديد من الدول فى المنطقة بعيدة عن الصراع العربى الإسرائيلى ..

وافقت رئاسة فاسيل على انتدابه إلى مصر .. وكانت مفاجأة له أنه عين بالصفة الدبلوماسية وفى وظيفة مساعد الملحق الحربى !!! ...

بعد صدور قرار انتداب فاسيل مساعدا للملحق الحربى فى مصر ، كان شيمون هو أول من هنأه على هذا التعيين ، وذلك عبر الاستقبال اللاسلكى الذى كان يستمع إليه يوميا حتى بعد عودته إلى

يوغوسلافيا، ولكن بعد أن تغير التوقيت ليكون فى تمام الساعة الحادية عشرة مساء .. وقد فوجئ فاسيل بأن المخابرات الإسرائيلية تعلم بنبأ تعيينه فى القاهرة بهذه السرعة المذهلة !!! ...

بدأ فاسيل فى الاستعداد للسفر إلى مصر التى يراها لأول مرة هو وزوجته جوفانكا .. وقرر أن يكون سفرهما سويا بدلا من ذهابه هو أولا ثم تلحق به هى بعد إعداد المسكن وخلافه ..

وبعد ترشيح فاسيل؛ للعمل فى القاهرة بالصفة الدبلوماسية ، أرسلت الخارجية اليوغوسلافية اسمه إلى وزارة الخارجية المصرية التى خاطبت إدارة المخابرات الحربية للموافقة على انتدابه من عدمه – وهذا إجراء روتينى يتبع فى جميع الدول – وكان هناك بعض الإجراءات يتعين اتخاذها من جانب السلطات المصرية للتحرى عن هذا الدبلوماسى العسكرى الجديد ، والتى تقتصر فى مثل هذه الحالات على الكشف عن المعلومات المسجلة عنه بملفاتها ، وكذا فى باقى أجهزة الأمن بالدولة للتأكد من أنه لم يسبق إبعاده من أية دولة لأسباب أمنية ، وأن له نشاطا أو أفكارا ضارة ..

فمن المعروف أن مكاتب الملحقين الحربيين فى أية دولة هى عبارة عن مكاتب جمع معلومات عسكرية بصفة رسمية ، يعمل بها خبراء من أجهزة المخابرات لجمع المعلومات عن الدولة التى يعملون بها – مثلها مثل جميع السفارات الأجنبية فى أية دولة من دول العالم – التى تعتبر عيونا لدولتها داخل الدول الأخرى .. فهى علاوة على قيامها بممارسة أعمالها الدبلوماسية العادية والتى تزداد حرارة أو برودة

حسب العلاقات الدبلوماسية بين الدول .. إلا أنها تقوم بأعمال التجسس - وربما التخريب - بل وفى بعض الأحيان تكون هى بمثابة الحكومة الحقيقية داخل الدولة التى تسيطر على مجريات الأمور بها ، ويكون السفير الأجنبى هو الحاكم الحقيقى لهذه الدولة!!

وفى بعض الأحيان تكون السفارات الأجنبية بمثابة جمعيات خيرية متقدمة للدولة داخل الدول الأخرى الكبرى التى تمدها بالمعونات المالية والغذائية والسلاح والخبرات الأخرى المختلفة .. الخ ..

وتتبع السفارات الأجنبية مكاتب فنية متعددة منها المكتب القنصلى والمكتب التجارى والمكتب الزراعى والإعلامى ، والمكتب الحربى وغيرها من المكاتب المختلفة التى تزداد أو تقل حسب حجم الدولة الممثلة أو المضيفة .

وإذا نظرنا إلى المكاتب الحربية أو مكاتب الملحقين العسكريين فى السفارات المختلفة نجد أن حجمها أيضا يتوقف على حجم التعاون العسكرى بين الدول وحسب احتياجات كل دولة من الدول المعتمدة لديها هذه المكاتب .. كما نجد أن بعض الدول لديها ملحق حربى فقط ، ودول أخرى بها ملحق حربى ومساعد واحد له ، وفى بعض الأحيان نجد هناك ملحقا عسكريا وملحقا بحريا وملحقا جويا ، وأحيانا يرأسهم جميعا ملحق يسمى ملحق الدفاع .. ويمكن أن يكون لكل واحد منهم مساعد أو أكثر ، وذلك بالإضافة إلى مكاتب المشتريات التابعة لوزارة الدفاع ..

وقد أصبح من المعروف أن هؤلاء الملحقين ما هم إلا جواسيس رسميين داخل الدولة – أى جاسوس مرخص له بالعمل من الدولة التى يتجسس عليها !!!.. وهذا أمر بالغ التعقيد والحساسية .. ويحتاج إلى حرص دائم وتأمين قوى من الدولة المضيفة لكى تمنع هؤلاء الجواسيس المعروفين من الحصول على المعلومات المطلوبة ..

– أو على الأقل الحد من تحركاتهم ونشاطهم .. ويتطلب هذا التأمين إجراءات مشددة للسيطرة على هؤلاء الأشخاص المحترفين المدربين تدريبا عاليا والمختارين بشروط قاسية ودقيقة ، والحاصلين على دورات وخبرات لا تتوافر لأى جاسوس عادى آخر (غير معروف) .. فوضع هذا الجاسوس المحترف المحصن بصفته الدبلوماسية تحت المراقبة المستمرة أمر بالغ الصعوبة ، ويتطلب مجهودات وإمكانيات كبيرة ، فهو شخص غير عادى ، يتحرك بسهولة تحت العباءة الدبلوماسية ، ويعرف جيدا ما يريد ومن أين .. وبأى الطرق يحصل عليها !!!..

وللحد من نشاط هؤلاء الملحقين فإن بعض الدول تضع قيودا على تحركاتهم خارج العاصمة وحتى مسافات معينة إلا بتصريح من وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع .. وبعض الدول ـ وخاصة دول النظام الشيوعى السابقة ، أو أوربا الشرقية تضعهم ـ جميعا فى مدن سكنية منفصلة عن مساكن المواطنين ، وتفرض عليها حراسة مشددة بحجة تأمينهم ، ولكنها فى حقيقة الأمر وسيلة للسيطرة على تحركاتهم ومعرفة المترددين عليهم والمتصلين بهم .. وتزرع لهم فى كل مكان كاميرات تصوير وميكرفونات تسجيل بالإضافة إلى التصنت على كل

محادثاتهم التليفونية .. أى تسجيل كل تحركاتهم واتصالاتهم بالصوت والصورة .. ولايقتصر ذلك على الدول الشيوعية فقط - أو دول الستار الحديدى سابقا - بل إن هناك بعض الدول تضع تحديدات وقائية معينة .. فالسويد مثلا تمنع زيارة أى أجنبى لبلدة (بودون) حيث توجد بعض المصانع الحربية .. كما تمنع تركيا زيارة بعض أجزاء من الأناضول إلا بتصريح ، وتمنع التقاط الصور الفوتوغرافية من حدود اليونان إلى استانبول ..

- وفى أمريكا لايسمح لأى شخص من غير المسئولين بزيارة مصانع الأبحاث الذرية .. بينما تسمح النرويج لكل الأفراد - حتى الأجانب - بزيارة مركز الأبحاث والنشاط الذرى فيها ..

أما فى مصر فتوضع قيود على تحركات الملحقين الحربيين خارج العاصمة إلا بتصريح .. كما فرضت قيودا على مرور الأجانب عبر مناطق معينة أو خروجهم عن الطريق الرئيسى إلا بتصريح ..

وقد قامت المخابرات الحربية المصرية باتخاذ الإجراءات العادية تجاه فاسيل - مساعد الملحق الحربى اليوغوسلافى الجديد - وجاءت النتيجة (سلبية) فليس هناك معلومات مسجلة عن الضابط اليوغوسلافى فاسيل ميجانوفيتش .. وحتى بعد سؤال مكتب الملحق الحربى المصرى فى بيروت ، أجاب أنهم لايعرفون عنه شيئا ، حيث لم تكن له أية صفة دبلوماسية فى لبنان ، وبالتالى لم يحضر أى حفلات استقبال رسمية كونه لم يكن موضوعا على القائمة الدبلوماسية ..

وهذا الإجراء الروتيني يتخذ مع كافة الملحقين العسكريين ومساعديهم المعينين بالصفة الدبلوماسية .. كما هو إجراء روتيني تتخذه وزارة الخارجية عند تعيين سفير أو وزير مفوض أو مستشار ، أو أي شخص تكون له الصفة الدبلوماسية ويعمل في أي من السفارات الأجنبية في مصر ..

وعلى ضوء الإجراءات السابق الإشارة إليها بخصوص فاسيل فقد وافقت المخابرات الحربية والخارجية المصرية على تعيينه بالقاهرة بصفته الدبلوماسية ، وأرسلت الموافقة إلى وزارة الخارجية اليوغوسلافية .. وبناء على ذلك بدأ فاسيل في تلقى دورة صغيرة مكثفة في المخابرات اليوغوسلافية لدراسة الميدان الجديد الذى سيعمل به في مصر ويتعرف على أوضاعها السياسية والعسكرية وظروف المعيشة بها ... الخ .. كما حصل على عدة محاضرات عن اللهجة المصرية والعادات والتقاليد داخل مصر .

– وهكذا أصبح فاسيل معدا لاستلام مهام منصبه الجديد ..

وفى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٠ قام بزيارة تعارف للملحق الحربى المصرى فى يوغوسلافيا ، حيث قدم له نفسه وأبلغه بموعد سفره إلى القاهرة فى نهاية نفس الشهر .

كان لابد من إعادة تدريب فاسيل قبل سفره إلى القاهرة ، وتزويده بجهاز لاسلكى حديث لسرعة إجراء الاتصال بالموساد فى الحالات الضرورية ، أو فى حالات الطوارئ القصوى ، أو إذا أراد إمدادهم

بمعلومات سريعة عن تحركات أو أى بادرة تنم عن وجود نية للهجوم على إسرائيل من جانب القوات المصرية ..

من أجل هذا قامت الموساد بتجهيز وتصنيع جهاز لاسلكى حديث له قدرة عالية فى إرسال الإشارات إلى مسافات بعيدة وبوضوح شديد.. كما له خاصية تخزين الإشارة ثم إرسالها دفعة واحدة وبسرعة فائقة حتى لاتتمكن أجهزة الاستطلاع والمراقبة المصرية من اكتشاف هذه الإشارات وتحديد اتجاه الجهاز ومكان عمله ..

كان الجهاز على هيئة آلة حاسبة مستديرة الشكل وليست مستطيلة كما هو معروف .

– كما تم وضعه داخل ساعة حائط ماركة بج بن كوارتز على شكل مربع ..

تسلم فاسيل الجهاز بعد تدريبه على استخدامه ، وتنبه عليه بعدم إرسال إشارات إليهم عن طريقة إلا فى حالات الطوارئ القصوى فقط.. وأن عليه الاستمرار فى إرسال المعلومات إليهم عن طريق الخطابات بصفة مستمرة ..

لم يستغرق تدريب فاسيل على استخدام ذلك الجهاز سوى ساعة واحدة ، فكان يكتب الرسالة أولا ، ثم يقوم بتسجيلها وكتابتها على جهاز اللاسلكى باستخدام مفاتيح كالآلة الكاتبة تماما ، ثم يقوم بالضغط على زر أحمر ليتم الإرسال بسرعة فى بضع ثوان .. وهذه هى الطريقة الحديثة المستخدمة الآن فى إرسال الرسائل السرية اللاسلكية حتى تعجز أجهزة تحديد الاتجاه عن التقاطها ..

قام فاسيل بوضع الساعة التى تحوى جهاز اللاسلكى ضمن أمتعته ومتعلقاته التى تم شحنها من بلجراد إلى القاهرة .. ولم يتم تفتيشها بالمطار نظرا لاستلامها بواسطة مندوب السفارة اليوغوسلافية ..

الاستقبال الأسود :

تدخل القدر ليرسم صورة كئيبة ومحزنة لحظة وصول فاسيل وزوجته لأول مرة إلى أرض مصر عام ١٩٧٠ .. إذ تصادف وصولهما إلى مطار القاهرة مساء يوم الإثنين الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وهو يوم وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .

أثر نوبة قلبية داهمته فى الساعة الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم الحزين .

– وانقض الخبر كالصاعقة على الشعب المصرى الذى خرجت جموع غفيرة منه إلى الشوارع فى مظاهرة حزينة وبكاء تلقائى غير طبيعى ضمت العديد من الرجال والنساء والأطفال، وتوجهت تلك الجماهير إلى منزل الرئيس فى منشية البكرى ..

وكان مشهدا مأساوياً من كافة الوجوه .. فقد أحس الشعب أن فقد نفسه بفقد قائده وملهمه فى وقت هو فى أشد الحاجة إلى من يقوده إلى النصر واستعادة الأرض المحتلة !!..

اخترقت السيارة التى أقلت فاسيل وجوفانكا شوارع القاهرة فى طريقها من المطار إلى حى الزمالك الراقى مارة وسط هذه الجموع الغفيرة الحزينة الباكية المتشحة بالسواد .. كان مشهدا مثيرا يهز

المشاعر بالأسى ، فاكتسى وجه فاسيل وزوجته بالوجوم والكآبة .. وتشاءمت جوفانكا من هذا المنظر المحزن ، واعتبرته فألا سيئا لهما .. وقد كان كذلك بالفعل !!!..

أقام فاسيل وزوجته فى شقة مفروشة استأجرتها لهما السفارة اليوغوسلافية فى شارع الدكتور حسن عاصم بالزمالك ولاتبعد كثيرا عن مقر السفارة التى تقع فى شارع المنصور محمد رقم ٣٣ بالزمالك.

بدأ فاسيل عمله فى اليوم التالى مباشرة ، وكانت أول مهمة رسمية له فى القاهرة هى الاشتراك فى تشييع جنازة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ومصاحبة الوفد اليوغوسلافى الذى حضر خصيصا للاشتراك فى تشييع الجنازة .. وقد كانت مهمة صعبة بالفعل بالنسبة لفاسيل الذى لم يكن قد عرف معالم القاهرة بعد ، وكان يضل الطريق إلى منزله الجديد إذا ما ذهب بعيدا .. لذلك فقد كان يستخدم سيارات السفارة التى يقودها سائقون مدربون يعرفون كل شوارع وأحياء القاهرة !!..

استمر فاسيل فى اتصاله بالمخابرات الإسرائيلية ، يزودهم بكل ما تصل إليه يده من معلومات ذات فائدة لهم .. وبدأ فى زيادة نشاطه على أمل الحصول على الراتب العالى المضاعف الذى وعده به شيمون ..

وكانت القاهرة مصدرا غنيا بالمعلومات العسكرية وغير العسكرية التى يمكنه الحصول عليها وذلك لعدة أسباب .

أولها : أن القاهرة هى أكبر وأهم المدن بالمنطقة .
- كما أن جيشها هو الجيش الوحيد القادر على شن الحرب ضد إسرائيل بصفته أكبر قوة ضاربة بين العرب .. لذلك كانت المقابلات والاتصالات والتحركات فى القاهرة أكثر منها فى بيروت ..
- كما أن وضع فاسيل الجديد بصفته مساعد الملحق الحربى يساعده فى الحصول على معلومات أكثر أثناء العمل أو من السفارة اليوغوسلافية بالقاهرة ومن خلال الحفلات الدبلوماسية التى كانت تقيمها السفارات الأجنبية فى المناسبات المختلفة ، وكان هو أحد المدعوين المستديمين ترافقه زوجته كونه مدرج ضمن قائمة السلك الدبلوماسى لدى الخارجية المصرية ..

وبناء على توجيهات المخابرات الإسرائيلية اشترك فاسيل فى عضوية نادى الجزيرة بالزمالك ، وكان ذلك مثار تعليق من باقى أعضاء المكتب الحربى وأعضاء السفارة اليوغوسلافية ، حيث لم يكن أحد منهم قد اشترك فى هذا النادى العريق الراقى والذى يسدد اشتراكه بالنسبة للأعضاء الأجانب بالدولار ، مما يعد ترفا فى عرف دول المعسكر الشرقى لاداعى له .. ذلك بالإضافة إلى أن إمكانيات ومرتبات العاملين فى هذه السفارة لاتتحمل مثل هذه المصروفات .. ولكن فاسيل أرجع ذلك إلى رغبة زوجته الملحة للاشتراك فى هذا النادى لممارسة رياضة التنس المفضلة لديها .. كما أشاع أنها هى التى تقوم بدفع اشتراك النادى من مدخراتها الخاصة !!..

اتسعت دائرة معارف فاسيل وتعدد أصدقاؤه بعد فترة وجيزة من

وجوده فى القاهرة والتى بدأ العمل فيها بعد انتهاء الأعباء الإدارية الأولى بعمل بعض الجولات الميدانية لدراسة المدينة ، كتلك الجولات التى قام بها فى بيروت ، وكان يستخدم فى تحركاته سيارة من السفارة تحمل أرقاما دبلوماسية (هيئة سياسية/٥٩) وهو الرقم الكودى لسفارة يوغوسلافيا بالقاهرة فى ذلك الوقت .. كما تعددت صداقات جوفانكا من خلال الحفلات الدبلوماسية ، وترددها المستمر على نادى الجزيرة بمفردها صباحا وأحيانا أخرى مع زوجها فى المساء ..

كانت اتصالات فاسيل مع المخابرات الإسرائيلية عن طريق الخطابات السرية على نفس العنوان وباستخدام الكربون السرى ، حيث زوده شيمون بورقة كربون جديدة قبل سفره إلى القاهرة .. كما كان يستمع أيضا إلى جهاز الراديو يوميا لالتقاط ماعساه أن يكون من إشارات ورسائل وتعليمات من المخابرات الإسرائيلية وحلها بالشفرة باستخدام نفس الكتاب الفرنسى .. أما مرتبه الذى زاد إلى ألف دولار أمريكى شهريا - حسب وعد شيمون - فكان يصله بواسطة رسول من المخابرات الإسرائيلية يحضر شخصيا لمقابلته وتسليمه المبلغ كل ثلاثة أشهر أو أكثر حسب الظروف المتاحة - وفى نفس الوقت يقوم باستلام بعض الأوراق أو الصور الفوتوغرافية التى كان يلتقطها فاسيل أثناء تجواله لجمع المعلومات والتى لايستطيع إرسالها فى خطابات إلى إسرائيل ..

كانت المقابلات الشخصية التى تتم بين فاسيل ورجال المخابرات الإسرائيلية فى قلب مدينة القاهرة متنوعة .. حيث جرت أول مقابلة بعد وصول فاسيل إلى القاهرة بأربعة أشهر تقريبا ، ولم يكن قد استلم خلالها أى مبالغ من المخابرات الإسرائيلية .. وقبل تلك المقابلة دق جرس التليفون بمنزل فاسيل بعد عودته من العمل مباشرة ، وقبل أن يخلع ملابسه ، طلب منه المتحدث مقابلته فورا فى كافيتريا أحد الفنادق الكبرى بعد أن أعطاه كلمة السر والتى عرف منها فاسيل أنه مندوب من الموساد يحمل إليه رسالة من شيمون .. ولما سأله فاسيل عن كيفيه التعرف عليه ، أخبره أن عليه الجلوس فقط فى هذا المكان وسوف يتعرف هو عليه لأنه يعرفه جيداً حيث شاهد صورته أكثر من مرة !! ..

تأهب فاسيل لمغادرة المنزل وعلل لزوجته سبب خروجه أن المتكلم مندوب يعمل معه ويريد مقابلته لأمر هام .. وخرج متوجهاً إلى مكان المقابلة المحدد وجلس على إحدى الموائد بالكافيتريا .. وبعد حوالى عشر دقائق تقدم إليه شاب وسيم لا يتجاوز عمره خمسة وعشرين سنة، فجلس قبالته بعد أن ألقى عليه السلام باللغة الفرنسية وعرّفه بنفسه حيث ذكر كلمه السر ثم اعتذر عن التأخير، حيث كان يراقب المكان للتأكد من عدم وجود أجهزة أمن تراقب فاسيل .. وبعد فترة وجيزة قدم إلى فاسيل مظروفاً به مبلغ ثلاثة آلاف دولار أمريكى ، وكان المظروف محكم الغلق ولم يفتحه فاسيل كتعليمات المندوب له..

ثم بعد مناقشة مختصرة سأله خلالها عن أخباره وأحواله فى مصر، وتركه جالساً فى مكانه وانصرف بعد أن طلب منه البقاء لمدة خمس عشرة دقيقة، ثم الانصراف عقب تسديد فاتورة الحساب والتوجه إلى منزله مباشرة حيث سيعاد الاتصال به بعد نصف ساعة .. وفعلاً قام نفس الشخص بالاتصال به للتأكد من عودته إلى منزله مباشرة ..

وفى مرة أخرى فوجئ فاسيل بشخص يطرق باب منزله بالزمالك. وكانت جوفانكا قد توجهت إلى النادى مع بعض صديقاتها ، ولما فتح الباب وجد شخصاً يبدو عليه الوقار فى العقد الرابع من عمره ، فبادره بالتحية باسمه قائلاً :

مساء الخير يا سيد فاسيل .. فرد عليه السلام .. ثم قال الرجل كلمه السر وطلب منه السماح له بالدخول.. وكانت هذه مفاجأة مذهلة لفاسيل لم يتوقعها ولم يستعد لها وكان قد أبلغ المخابرات الإسرائيلية منذ فترة أنه حصل على بعض الصور الفوتوغرافية لمواقع للقوات المصرية بطريق الإسماعيلية الصحراوى .. كما أن لديه مذكرة من ست صفحات قامت السفارة اليوغوسلافية بالقاهرة بإعدادها وأرسلتها إلى الخارجية فى بلجراد عن الأوضاع السياسنية والاقتصادية فى مصر خلال هذه الفترة ، وأنه لا يستطيع إرسال هذه المذكرة بالبريد نظراً لكبر حجمها ، وكذا خشية نشاط المخابرات المصرية التى يعلم أنها تتحرك بفعالية فى تلك الفترة بالذات ..

عندما فوجئ فاسيل بدخول هذا الشخص إلى منزله ، ارتبك وقام على الفور بإحضار مظروف كبير الحجم من النوع العادى يحتوى

على المذكرة والصورة الفوتوغرافية وسلمه لهذا الرجل الذى أعطاه بدوره ظرفاً صغيراً بداخله المبلغ المخصص له كراتب شهرى .. ولم ينتظر هذا الشخص حتى يشرب المشروب الذى أعده له فاسيل على عجل بحجة أنه مرتبط بموعد آخر بعد نصف ساعة وانصرف مسرعاً.. ولم تكن جوفانكا قد عادت إلى المنزل بعد .. وبعد مضى نصف ساعة من انصرافه اتصل تليفونياً بفاسيل بحجة شكره على استقباله له وكرم الضيافة ، وفى حقيقة الأمر فقد كانت هذه المكالمة للتأكد من أن فاسيل لم يغادر المنزل بعد مقابلته .

زبون جديد :

كانت جوفانكا سعيدة بحياتها الجديدة وبمنصب زوجها الذى يشغله فى مصر ، كما كانت جذابة فى حديثها ومثقفة إلى أقصى درجة مما جذب إليها كثير من سيدات المجتمع الدبلوماسى فى القاهرة.. وكانت أكثرهم إنجذاباً إليها مدام بيير حرم الملحق العسكرى المساعد للسفارة الفرنسية بالقاهرة .. فكانت أقرب إليها ، كونها – أى جوفانكا – تتحدث الفرنسية بطلاقة ، كما أن كلتيهما كانتا تهوى رياضة التنس فضلاً عن تقاربهما فى السن والميول .. وبالتالى فقد أصبح فاسيل صديقا شخصيا لمساعد الملحق الحربى الفرنسى بالقاهرة .. وكانا يتقابلان كثيراً فى الحفلات الرسمية وفى النادى الرياضى ، كما كانت تجمعهما مقابلات ودعوات خاصة بالمنزل ..

لم يكن الرائد الفرنسى بيير يتطرق أثناء حديثه إلى أى موضوعات

خاصة بالعمل مع فاسيل .. وكان كل حديثهما عن موضوعات عامة ، الحياة داخل القاهرة والمشاكل القليلة التى يواجهها كل منهما ..

ولكن فاسيل كان من آن لآخر يدخل فى بعض الموضوعات السياسية عن الأوضاع العالمية أو عن الأوضاع داخل مصر بعد تولى الرئيس السادات للحكم !!! ...

كان بيير حريصاً كل الحرص فى حديثه مع فاسيل الذى كان على العكس (يجر شكل) بيير .. أويداعبه فى كثير من الأحيان ملمحاً إلى الرفاهية الفرنسية وحياة الليل فى باريس التى يحلم بزيارتها، كما كان يبثه بعض المشاكل التى يعانيها مع رؤسائه فى العمل .. وكان الرائد الفرنسى المحنك بيير يستمع إليه بكل اهتمام ولكن دون أى تعليق .. وفى إحدى السهرات الخاصة فى دعوة إلى العشاء بمنزل الرائد بيير اقتصرت على فاسيل وزوجته فقط .. وبعد أن احتسى فاسيل العديد من أكواب النبيذ الفرنسى الفاخر ، ثم أتبعها ببعض كؤوس من الكونياك المعتق ، قال لبيير بطريقة مباشرة ومفاجئة:

– لماذا لا نتعاون سوياً فى العمل ، ونحن أبناء مهنة واحدة وفى مكان واحد ومجال مشترك ، وتبادلنا المعلومات سيكون له بلا شك فوائد كثيرة لى ولك .. وأيضاً الأجهزة التى نعمل من أجلها !!! ..

– قال بيير : لا مانع لدى من ذلك.. بل إننى أرحب به جداً .. فهناك معلومات عن مصر فى المجالات العسكرية لا أستطيع الحصول

عليها بسهولة على عكس بعض الزملاء من الكتلة الشرقية الذين يتحركون بسهولة أكثر داخل الأجهزة الرسمية فى مصر !!! ...

– قال فاسيل : أنا لا أقصد التعاون بيننا فى مجال المعلومات عن مصر فقط ، ولكننى على استعداد لإمدادك بمعلومات تهم حلف الأطلنطى أيضاً !! .. ثم سكت ..

– فسأله بيير : وفى المقابل فأنت تريد معلومات تهم حلف وارسو أيضاً !!

– إذ تبادر إلى ذهنه أن فاسيل عميل للمخابرات الروسية الKGB.

–كلا .. أنا لا أريد منك معلومات عن أى شىء .. لأننى أريد أن يكون المقابل ماديا فقط .. وليس معلومات ..

صعق بيير من هذا الرد الجرىء الذى لم يكن يتوقعه ، وهذا العرض المغرى الذى لم يصدقه !! .. واعتبر أن فاسيل ربما يكون قد لعبت برأسه الخمر بعد أن عبّ منها الكثير .. فطلب منه إرجاء الحديث فى هذا الموضوع حتى يلتقيا فى النادى بعد ظهر اليوم التالي، وأنهى الحديث عند هذا الحد خشية أن تسمع زوجتيهما هذا الكلام الخطير !!! ...

كانت مقابلة فاسيل للرائد الفرنسى فى اليوم التالى بالنادى الرياضى أكثر إثارة .. وكان بيير يخفى جهاز تسجيل حتى يثبت لرئاسته صحة هذه المعلومات الخطيرة .. وفى بداية اللقاء بدأ بيير الحديث قائلاً لفاسيل :

– أشكرك على قبول دعوتى وزيارتك لى بالأمس .. وأعتقد أن

النبيذ الفرنسي كان له تأثير قوى عليك ؛ لأنك تكلمت كثيراً فى موضوعات خطيرة !! ..

– قال فاسيل : هل تقصد كلامى لك فى آخر اللقاء عن التعاون بيننا فى مجال تبادل المعلومات ؟ .. إن كان كذلك فأنا أعنى كل كلمة قلتها لك بالأمس !! .. ولعلمك فإن النبيذ الفرنسى أو خلافه لا يؤثر فىّ إطلاقاً .. وأنا على استعداد لأن أحتسى برميل فودكا روسيا معتقا دون أن تهتز منى شعرة واحدة !! ..

– يا صديقى بيير .. أنا جاد فى عرضى لك .. لأنى على قناعة تامة بأن سياسة الغرب وقدرته العسكرية يجب أن تتفوق على الشرق حتى يدوم السلام ، وبصرف النظر عن الأيدلوجيات أو السياسات المختلفة .. فأنا أسير وفق سياستى الشخصية التى أبنيها على مصلحتى الخاصة .. وأعتقد أن المعلومات التى أحصل عليها سوف تفيدكم أكثر مما تفيد رئاستى فى بلجراد .. بالإضافة إلى أن هدفى الأساسى هو المادة .. أقول لك هذا بكل وضوح وصراحة !! ..

– فسأله بيير : وكم تريد ؟ قالها بيير بهدوء الواثق : وهل تريد راتباً شهرياً .. أم مكافأة بالقطعة ؟ ..

– أنا أفضل الراتب الشهرى فى مقابل تقريرين فى الشهر الواحد ، أما المعلومات التى تكون ذات أهمية خاصة فهذه سوف يتفق عليها!!..

– أشكرك على صراحتك وجرأتك .. فلقد سهلت علىّ المهمة

إلى درجة كبيرة، ولكنى لا أستطيع البت فى هذا الموضوع قبل الرجوع لرئاستى ..

– طبعاً .. أنا متفهم للوضع جيداً .. ولكنى أرجو أن يكون الرد سريعاً بقدر الإمكان ..

اهتمت المخابرات الفرنسية بالتقرير الذى أعده الرائد بيير وتسجيله للحديث الذى دار بينه وبين فاسيل فى لقائهما السابق ، وطلبت منه الحضور إلى باريس فى مأمورية قصيرة لمعرفة تفاصيل علاقته بمساعد الملحق الحربى اليوغوسلافى بالقاهرة ، وكل المعلومات التى تتوفر لديهم عن هذا الشخص ..

سافر بيير إلى باريس بمفرده ، وعاد بعد ثلاثة أيام بعد أن تلقى تعليمات تشغيل العميل الجديد الذى سيعمل معهم من القاهرة ..

كانت المخابرات الفرنسية تتوخى الحرص التام فى تعاملها مع عملاء الدول الشرقية نظراً لشعورها باختراق جهاز المخابرات السوفييتى ال KGB لبعض الأجهزة بها خصوصاً بعد القبض على الجاسوس الشهير جورج باك الذى اتهمته المخابرات الفرنسية بالتجسس لصالح الاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٣ .. والذى اتضح أنه يعمل مع السوفييت منذ عام ١٩٤٤ أي لمدة تسع عشرة سنة متصلة .. وكذلك القبض على الجاسوس الفرنسى هانز فولكنز فى مايو سنة ١٩٦٥ أثناء تسليمه مستندات هامة لمندوب المخابرات السوفيتية على مقهى السلام بباريس.. وكانت المخابرات الفرنسية تعتبر أن جميع الملحقين العسكريين وغير العسكريين من الدول الشرقية ممن يعملون فى

سفارات دولهم بالخارج هم من رجال المخابرات السوفيتية ويعملون لصالحها .. وكانت تخشى أن فاسيل أحد هؤلاء ويحاول الإيقاع بالرائد بيير ، مما يستوجب الحرص الشديد فى التعامل معه !! ..

بدأ فاسيل فى التعاون مع المخابرات الفرنسية عن طريق بيير دون أية مشاكل أمنية أو إجراءات استثنائية يتعين عليه اتخاذها .. فقد كان وضعهما واحدا فى مصر ، ومقابلاتهما عادية وعلنية .. وبدأ فاسيل يكتب صورة إضافية من المعلومات التى يتمكن من الحصول عليها ويقوم بإرسال إحداها إلى المخابرات الإسرائيلية فى الخطاب السرى ، ويسلم الصورة الأخرى إلى بيير داخل مظروف عادى عند أي لقاء بينهما ..

كان فاسيل يكتب التقارير والمعلومات التى يحصل عليها باللغة الفرنسية دون توقيع .. وكانت هذه التقارير والمعلومات عبارة عن صورة طبق الأصل من المعلومات التى يرسلها إلى إسرائيل عن مصر بعد تحريف بعض العبارات وإلغاء البعض ..

بعد فترة وجيزة صدرت إلى فاسيل تعليمات من المخابرات الفرنسية تتضمن الاحتياجات المطلوب التركيز عليها ، والاهتمام بالمعلومات الخاصة بنشاط وتحركات الدول الشيوعية بالمنطقة ، وكذلك المعدات الجديدة فى الترسانة الحربية فى حلف وارسو ..

كانت المخابرات الفرنسية تدفع لفاسيل بسخاء .. وكان هو ينفق ببذخ لم يتعوده هو أو زوجته من قبل .. ومع مضى الوقت وازدياد خبرة فاسيل العملية فى مجال جمع المعلومات لصالح الغير .. احتكر

التجسس لمصلحته الشخصية .. وأصبح يشكل لنفسه وكالة مخابرات خاصة لبيع المعلومات العسكرية وغير العسكرية التى يتمكن من الحصول عليها ويعطيها لمن يدفع الثمن !!! ...

وبعد عام كامل من العمل مع المخابرات الفرنسية سافر فاسيل إلى باريس ترافقه زوجته فى أول إجازة له .. وكانت هذه الزيارة فى طريق سفره إلى بلجراد وبدعوة من الرائد الفرنسى بيير كتغطية لأسباب الرحلة الحقيقية أمام جوفانكا ، وقضى فاسيل وزوجته أسبوعاً كاملاً فى باريس ، وكانت زوجته تخرج مع مدام بيير إلى الأسواق الفرنسيه لشراء ما يلزمهما .. أما فاسيل فكان يذهب مع بيير إلى مبنى خاص فى إحدى ضواحى العاصمة الفرنسية لمناقشته فى بعض الأمور الهامة وتدريبه على بعض أعمال التجسس الحديثة .. وكيفية تأمين نفسه سواء فى مصر أو فى بلجراد .. وبذلك أصبح فاسيل يشكل أهمية قصوى ليس للمخابرات الفرنسية فحسب .. بل أيضاً لمخابرات حلف الأطلنطى !!! ...

الإجراءات الوقائية فى مصر :

مع نهاية عام ١٩٧٢ وهو ماسمى بعام الحسم ، ومع اقتراب الموعد المرتقب لاندلاع المعركة مع إسرائيل لتحرير الأرض المحتلة من سيناء .. واستعادة الكرامة التى فقدها الشعب والجيش المصرى بعد نكسة عام ١٩٦٧ ..

ولكى تنجح خطة القيادة المصرية الرامية إلى عدم تسرب أى

معلومات عن استعدادات القوات المسلحة المصرية لبدء القتال وعبور قناة السويس التى تعتبر أكبر مانع مائى فى تاريخ الحروب الحديثة ...

وإمعانا فى تنفيذ خطة الخداع الاستراتيجى ، كان لابد من رفع درجة استعداد أجهزة الأمن المصرية بكل أنواعها - وخاصة المخابرات الحربية - ومن المعروف أنه مهما تعددت ألوان وتخصصات المخابرات ، فإنها جميعا ترمى إلى هدفين أساسيين :

أولهما : الوقاية ضد نشاط المخابرات الأجنبية ..

وثانيهما : السعى للحصول على كافة المعلومات عن الدول الأخرى المعادية وغيرها .. ويعتمد نجاح أى منهما إلى درجة كبيرة على الآخر ...

وبشكل عام فإن المخابرات تمارس نوعين من النشاط ، أحدهما إيجابى : ويهدف إلى الحصول على كافة المعلومات المتعلقة بالدول الأخرى ، وتقدير هذه المعلومات لإمداد المسئولين بالحقائق التى تكفل لهم وضع سياسة الأمن القومى ، واتخاذ الخطوات المضادة ، وتنفيذ أغراض معينة تساعد فى التغلب على العدو فى أى من ميادين الحياة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية .. ويعرف هذا الجانب من نشاط المخابرات باسم : (المخابرات الإيجابية) .....

أما الجانب الآخر من نشاط المخابرات : فهو يعرف (بالمخابرات الوقائية) .. وهو ذلك النشاط الذى يشمل من الناحية النوعية جميع الجهود الموجهة ضد مؤامرات وعمليات المخابرات الأجنبية المعادية .. وتهدف المخابرات الوقائية إلى منع تسرب معلومات محدودة إلى غير

المسئولين – سواء بالصدفة أو بمجهودات إيجابية – وعرقلة بل منع كل المحاولات التى تبذل للحصول عليها ..

ويعرف هذا النشاط أيضا بأنه : (المخابرات المضادة) التى أشارت إليها دائراة المعارف البريطانية ، بأن واجبها الأساسى هو منع التجسس وكشف أعمال الخيانة التى ترتكب ضد الدولة .. وأن تحرص على على متابعة ومراقبة المرتكبين لهذه الأعمال وإلقاء القبض عليهم وعلى العملاء والجواسيس المسئولين عن تلك الأعمال .. ويشتمل هذا النشاط على عنصرين :

العنصر الأول : ويمكن تسميته بالأمن الوقائى أو مخابرات الأمن، ويعنى جملة الجهود التى تبذل لإخفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية والقرارات الدبلوماسية وغيرها من المعلومات التى تؤثر على أمن وسلامة الدولة .. كما يعنى الإجراءات التى تتخذ لحماية الموارد الطبيعية ومناطق الإنتاج الصناعى ضد أعمال المخابرات والجاسوسية والتخريب التى يلجأ إليها العدو .

العنصر الثانى : ويمكن تسميته بمقاومة الجاسوسية وهو يهتم بالعمل ضد الجواسيس .. كما يعتبر الجانب الإيجابى من المخابرات الوقائية ، كما يمكن تعريفه بأنه: المعرفة والتنظيم والتحليل والنشاط الذى يوجه للقضاء على أنشطة الجاسوسية المعادية .. والمهمة الأساسية لمقاومة الجاسوسية هى التعرف على نشاط عملاء العدو السريين واستغلالهم والسيطرة عليهم .

وقد وضعت المخابرات المصرية خطة لمحاصرة هؤلاء الملحقين العسكريين للحد من نشاطهم وتحركاتهم ، وعمل ستار حديدى لمنع تسرب أى معلومات عن قواتنا المسلحة ،كما تم فى نفس الوقت وضع خطة لإشغالهم وإبعاد تركيزهم عن القوات المقاتلة وتوجيه أنظارهم إلى أماكن أخرى داخل القوات المسلحة ليقوموا بزيارتها وكتابة التقارير عنها إلى رئاساتهم لإشباع غرورهم ، وكبح جماح رغباتهم فى الحصول على معلومات عسكرية هامة .

لذلك تم ترتيب زيارة ميدانية لهم إلى بعض المناطق العسكرية بالقاهرة والإسكندرية ، كما تم الإعلان عن رحلات ترفيهية مجانية إلى بعض الأماكن السياحية فى الأقصر وأسوان على نفقة القوات المسلحة ..

كما تم الإعلان عن برنامج رحلة يوم ٢٥ أكتوبر لزيارة منطقة العلمين التاريخية فى ذكرى شهداء الحرب العالمية الثانية من الإنجليز والألمان والإيطاليين ..

وفى نفس الوقت تم تشديد الرقابة على تحركاتهم ، واستخدام وسائل حديثة للتعرف على اتصالاتهم وكشف مصادر معلوماتهم ، ومدى نجاحهم فى الحصول على معلومات عن قواتنا المسلحة تأهبا للقتال ..

وكان من المعروف أن المخابرات الإسرائيلية قد نشطت هى الأخرى فى هذا الوقت حيث شنت حربا نفسية ضد مصر ، وبدأت فى إرسال منشورات من الخارج صادرة من جماعة تسمى (طلاب إسرائيل

لشئون الشرق الأوسط) .. وقد اكتشفت الرقابة البريدية فى مصر ٢٣ منشورا مسلسلا صادرة عن هذه الجماعة، ورد فى كل منشور منها رد على وجهات النظر التى أبداها المفكرون والكتاب والسياسيون المصريون ... كما تم ضبط منشورات عددها حوالى ألف منشور صادرة من داخل البلاد طبعت تحت اسم مزعوم هو (الجبهة الوطنية المصرية) باللغتين العربية والإنجليزية وضعت داخل خطابات معنونة بأسماء بعض الشخصيات العامة ، وعدد من الكتاب والصحفيين وبعض أعضاء النقابات المهنية ومراسلى الصحف ، ووكالات الأنباء الأجنبية وأساتذة الجامعات والمعاهد العليا وبعض كبار ضباط القوات المسلحة .. وكان إرسال هذه المنشورات يتم عن طريق وضعها داخل صناديق البريد المنتشرة فى كثير من أحياء القاهرة وفى بعض مدن المحافظات ، وهى عناوين تم الحصول عليها عن طريق دليل التليفونات ..

وقد نجحت المخابرات المصرية بالتعاون مع الرقابة على البريد فى القبض على شخصين أجنبيين هما : جاك بيير إيرون بلجيكى الجنسية ، ومارك جان مورو فرنسى الجنسية ، اللذين اعترفا بتجنيدهما لصالح إسرائيل بعد أن قامت المخابرات الإسرائيلية بالسيطرة عليهما باستعمال أخس الوسائل ودفعهما للحضور إلى القاهرة ومعهما تلك المنشورات التى وضعت داخل جيوب سرية بالحقائب الخاصة بهما ليقوموا بوضعهما فى صناديق البريد داخل البلاد ..

وفى نفس الوقت تمكنت أجهزة المخابرات العامة المصرية من القبض على العميل الإسرائيلى (بهجت يوسف حمدان) الذى تمكن من استمالة أحد مهندسى شركة مقاولات كبرى والذى كان يشترك فى تنفيذ إنشاء بعض الاستحكامات العسكرية بمنطقة القنال ، حيث أوهمه بإمكانية إلحاقه بالعمل لدى شركة ألمانية غربية إذ أنه متزوج من ألمانية .. وبذلك أقنعه بأن يحضر له بعض الرسومات الهندسية الخاصة بهذه الاستحكامات العسكرية ، كما حصل منه على بعض المعلومات العسكرية السرية..

وجدير بالذكر أن يقظة جهاز مقاومة التجسس فى مصر قد فوتت الفرصة على (بهجت حمدان) لنقل الرسومات والمعلومات العسكرية التى حصل عليها نتيجة لنقص تدابير الأمن الوقائية فى شركات المقاولات المختلفة .

ذبابة فى العسل :

سارت خطة المخابرات الحربية بشكل طبيعى فى مراقبة تحركات الملحقين الحربيين فى مصر .. وبدأت مجموعات العمل فى تنفيذ مهامها الموكلة إليها .. وكانت الأمور تبدو هادئة .. وجاءت التقارير التى أعدها جهاز الأمن بالمخابرات الحربية عن تحركات واتصالات الملحقين العسكريين عادية وروتينية بما فى ذلك التقارير الخاصة بمراقبة فاسيل بيجانوفيتش مساعد الملحق الحربى اليوغوسلافى .. وفجأة لاح ضوء أحمر أثار انتباه رجال مكافحة التجسس بالمخابرات

الحربية ، حيث ورد تقرير فى بداية عام ١٩٧٣ أعدته إحدى المجموعات المتخصصة فى متابعة نشاط الملحقين العسكريين للدول الشرقية يفيد أنه أثناء المراقبة الروتينية للمدعو فاسيل بيجانوفيتش خرج المذكور من منزله فى تمام الساعة السابعة مساء وتوجه إلى مطعم فندق النيل هيلتون بالقاهرة حيث تقابل مع شخص آخر شرقى الملامح واستمر اللقاء ما يقرب من ساعة سلّم خلالها هذا الشخص إلى فاسيل مظروفاً مغلقا دسه فى جيب سترته .. ثم توجه فاسيل بعد انتهاء المقابلة إلى منزله بالزمالك .. وأضاف التقرير أن مجموعة أخرى من طاقم المراقبة تفرعت خلف الهدف الجديد الذى تقابل مع فاسيل بالمطعم ، والذى كان يعتقد أنه مصرى الجنسية أو عربى نظرا لملامحه الشرقية ..

خرج هذا الشخص من الفندق بعد انتهاء المقابلة واستقل سيارة تاكسى إلى مطار القاهرة الدولى مباشرة حيث تجول فى السوق الحرة حوالى ربع الساعة ثم ولج إلى صالة السفر وتوجه إلى مكتب شركة الخطوط الجوية العالمية (T.W.A.) حيث كان لديه حجز على رحلة الطائرة المتجهة إلى قبرص فى نفس اليوم ، والتى أقلعت فى تمام الساعة الحادية عشرة مساء ..

استعانت مجموعة المراقبة بمكتب المخابرات الحربية بالمطار الدولى الذى استطاع الحصول على كارت مغادرة هذا الشخص من مكتب الجوازات والجنسية حيث اتضح أنه يحمل جواز سفر بريطانيا رقم

١٤٣٥ باسم (ريتشارد جون ويد مارك) .. وبفحص بطاقة الوصول الخاصة به تبين أنه وصل البلاد صباح نفس يوم سفره ..

كانت هذه المعلومات كافية للاعتقاد بأن فاسيل يتعاون مع جهاز مخابرات آخر ، وأنه يشكل خطراً على الأمن القومى ..

وعندئذ صدرت التعليمات باستمرار مراقبته ٢٤ ساعة يوميا لمعرفة اتصالاته وتحركاته والجهة التى يعمل لحسابها - خلاف دولته بطبيعة الحال - كما صدرت الأوامر أيضا بوضع هذا الشخص الذى يحمل جواز السفر البريطانى على قوائم ترقب الوصول لإبلاغ أجهزة الأمن فور وصوله إلى البلاد مرة أخرى .

كانت المعلومات وتقارير المراقبة اليومية لفاسيل تثير الانتباه يوما بعد يوم ، وظهر لجهاز الأمن بصورة واضحة أنه يصرف ببذخ غير عادى لايتوافق مع ظروفه كدبلوماسى لدولة شرقية .. كما لوحظ أن زوجته تتردد كثيرا على محلات بيع الحلى الذهبية فى القاهرة وتقوم بشراء كميات كبيرة من المشغولات الذهبية .. كما لفت الانتباه اشتراكه فى نادى الجزيرة واتصالاته المتعددة بالعديد من الشخصيات المصرية والأجنبية ، وظهر بوضوح علاقته القوية بمساعد الملحق الحربى الفرنسى هو وعائلته وتكرار مقابلاتهما فى النادى أو المنزل وأحيانا فى الأماكن العامة بمفردهما دون زوجتيهما !!..

ورد فى تقرير المراقبة فى أحد الأيام أن فاسيل قام بوضع خطاب فى صندوق البريد بنفسه - وهو أمر غير مألوف - وتكرر هذا الأمر أكثر من مرة ومن أماكن مختلفة بعضها بعيد عن منزله بالزمالك ..

كما كان يغادر المنزل خصيصا لوضع الخطاب فى صندوق البريد ثم العودة ..

كان فاسيل نشطا فى تحركاته ، وكان يستقل سيارته التى تحمل أرقاما دبلوماسية من آن إلى آخر وينطلق بها خارج حدود القاهرة الكبرى مارا بالطريق الصحراوى مصر/الاسماعيلية ، أو مصر / الفيوم أو مصر / السويس حتى يصل إلى منتصف الطريق أو قريبا من آخره ثم يعود أدراجه .. وكثيرا ماكان يقف بسيارته ويلتقط بعض الصور الفوتوغرافية لبعض الأماكن على الطريق .. وكانت تحركاته خارج القاهرة بدون تصريح من فرع الملحقيين الحربيين بإدارة المخابرات الحربية التى كانت تعليماتها فى ذلك الوقت تقضى بضرورة حصول الملحق الحربى أو مساعده على تصريح أو إذن عند رغبته فى السفر خارج المدينة .. إلا أن فاسيل لم يقم بالإبلاغ فى أى مرة عن تحركاته خارج القاهرة والتى كانت تتكرر لأكثر من مرة فى الأسبوع الواحد ..كان يتعمد التحرك ببطء فى الأماكن التى بها وحدات عسكرية ..

وبالرغم من مظاهر البذخ التى كان يعيشها فاسيل هو وزوجته إلا أنه كان يأتى ببعض التصرفات التى تتصف بالدناءة .. حيث كان يتوجه إلى محطات البنزين لملء خزان الوقود ، وعند قيامه بدفع الحساب يطلب من عامل المحطة تحرير فاتورة بالثمن .. وكان يساوم العامل ويطلب منه إثبات كمية وقود أكثر من التى حصل عليها مقابل دفع رشوة للعامل ..

كانت هذه التصرفات العادية من الدبلوماسيين الشرقيين غريبة بعض الشيء بالنسبة لفاسيل إلا أنها تنم عن أصله وطبيعة نشأته وأسلوب حياته ..

كل الدلائل كانت تشير إلى أن فاسيل يقوم بعمل سرى داخل البلاد خلاف العمل الأساسى المكلف به من رئاسته والذى هو عمل سرى بطبيعة الحال .. ولكن تحركات واتصالات فاسيل كانت توحى بأنه مجند لصالح جهاز مخابرات آخر ، وكان الاعتقاد الأرجح أنه يعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية .. ولكن عندما تبين أن له علاقة بمساعد الملحق الحربى الفرنسى الرائد بيير ، حام حوله الشك أنه ربما كان يعمل مع مخابرات حلف شمال الأطلنطى .. لذلك تم تشديد الرقابة على الرائد بيير وزوجته وتحركاتهما داخل البلاد ..

كان لابد من وجود دليل قوى يثبت تورط فاسيل فى العمل مع جهاز مخابرات آخر ، أو قيامه بأعمال فى مصر حتى يتمكن القبض عليه متلبسا ، وبالتالى إمكان اتخاذ الإجراءات القانونية ضده ، وطرده من البلاد دون إثارة أى مشاكل دبلوماسية مع دولته الصديقة !!!...

أصبحت مهمة إثبات تورط فاسيل فى العمل لصالح دولة أخرى خلاف دولته هى الشغل الشاغل لجهاز المخابرات الحربية .. وهى مهمة شاقة وحساسة بحيث لا يمكن تنفيذها بين يوم وليلة .. فهو دبلوماسى وله حصانة دبلوماسية معترف بها دوليا ومحليا .. وهو عميل محترف متمرس ، تدرب على أعمال التجسس ومقاومة التجسس ، وله خبرة كبيرة فى طرق كشف المراقبة والهروب منها ..

وليس من السهل إدانته والقبض عليه متلبسا ، فقد كان شديد الحرص حذراً فى كل تصرفاته واتصالاته ..

فى الأسبوع الأخير من شهر فبراير ١٩٧٣ تم عقد اجتماع للجنة الأمن بإدارة المخابرات الحربية لوضع الخطة المحكمة للقبض على فاسيل متلبسا حتى يمكن إدانته قانونيا .. كان أمام اللجنة عدة نقاط هامة يجب وضعها فى الاعتبار وهى :

أولا : خبرة فاسيل وصعوبة مراقبته لمدة طويلة دون أن يتمكن من كشف هذه المراقبة أو الهروب منها .

ثانيا : ضرورة الحصول على دليل إدانة قوى ضد فاسيل أو ضبطه فى حالة تلبس لتلافى خلق أزمة دبلوماسية مع دولته نظرا لعلاقات الصداقة التى تربط بين الدولتين .

ثالثاً : إن مدة انتداب فاسيل فى مصر تقترب من نهايتها إذ أنه حضر إلى البلاد فى سبتمبر عام ١٩٧٠ وسوف تنتهى فترة انتدابه فى مصر فى سبتمبر عام ١٩٧٣ .. لذلك كان لابد من الإسراع فى تنفيذ الخطة قبل رحيله خارج البلاد ومعه أسراره وجرائمه !!!...

رابعاً : اقتراب الموعد المحدد لبدء المعركة مع إسرائيل لتحرير الأرض، ووجوب التخلص من كل جواسيس إسرائيل وغيرها .. والقضاء على كل مصادر إمدادهم بالمعلومات حتى لايفسد أى منهم خطة الخداع الاستراتيجى أو يحصل على أى معلومات هامة تؤثر فى سير المعركة .

وبعد دراسات واقتراحات واجتماعات استمرت أسبوعا كاملا تم التصديق على الخطة ، وبدأ العد التنازلى لتنفيذها ابتداء من اليوم التالى مباشرة ..

فى يوم السبت الموافق الثالث من مارس عام ١٩٧٣ أقامت السفارة المغربية بالقاهرة حفل استقبال بمناسبة العيد القومى للمملكة المغربية .. وتم توجيه دعوات إلى جميع الدبلوماسين الأجانب فى مصر لحضور هذا الحفل ، وكان فاسيل بطبيعة الحال ضمن من وجهت إليهم الدعوة هو وزوجته ..

غادر فاسيل منزله مرتديا ملابسه العسكرية ترافقه زوجته فى الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم لحضور حفل الاستقبال الذى كان محددا له الساعة السابعة ، وتوجها سيرا على الأقدام إلى مبنى السفارة المغربية الكائن بشارع صلاح الدين بالزمالك ، إذ لم تكن هناك حاجة إلى استخدام السيارة نظرا لقرب مبنى السفارة المغربية من منزله، بالإضافة إلى صعوبة العثور على مكان انتظار فى مثل هذه المناسبات..

فى هذا الوقت كانت هناك ثلاث مجموعات عمل من المخابرات الحربية .. الأولى : لمراقبته من المنزل حتى مكان إقامة الحفل ومتابعته أثناء الحفل وتتبعه حتى عودته إلى منزله .. والمجموعة الثانية :كانت مهمتها مراقبة المنزل والمنطقة التى يقيم بها من جميع الاتجاهات .. أما المجموعة الثالثة فكانت مكلفة بدخول الشقة التى يقيم بها فاسيل وتفتيشها سريا تحت حماية المجموعتين الأولى والثانية ، وذلك بهدف

الوصول إلى دليل مادى يثبت تورطه فى أعمال سرية خلاف عمله الأصلى .

– وقد تمكنت المجموعة الثالثة من دخول الشقة بعد أن تأكدت من وصول فاسيل إلى الحفل وانشغاله مع باقى المدعوين .. واستمر التفتيش فى كل مكان بأسلوب علمى تدرب عليه ضباط المجموعة وأفرادها ، وبدأ البحث فى كل غرفة على حدة .

– وفى تمام الساعة الثامنة وصل إنذار من المجموعة الأولى للتنبيه بأن فاسيل قد غادر الحفل فى طريق عودته إلى المنزل بعد أن ظل بالحفل ٤٥ دقيقة ، عندئذ أسرعت المجموعة الثالثة المتواجدة بالشقة بإعادة كل شئ إلى مكانه تماما وخرجت من الشقة دون استكمال تفتيش باقى المكان وإنهاء المهمة المكلفة بها ..

كان لابد من إجراء تفتيش سرى آخرللشقة حيث لم يسفر التفتيش السابق والذى تم على جزء منها فقط عن شيء هام أو ملفت للنظر ..

وبعد أربعة أيام سنحت فرصة أخرى حيث خرج فاسيل مع زوجته واستقلا السيارة الدبلوماسية حيث كانا مدعويان لحفل خاص على العشاء لدى أحد زملائه بالسفارة والذى كان يقيم فى حى المهندسين .. وقامت مجموعات العمل الثلاث التى كانت فى حالة طوارئ مستمرة بعملها المعتاد ، ونفذت المجموعة الثالثة عملية دخول الشقة فى هدوء حيث بدأت فى عملية التفتيش من حيث انتهت فى المرة السابقة ..

وفى غرفة مكتب فاسيل كانت المفاجأة حيث عثر طاقم التفتيش على ضالتهم المنشودة فى ساعة الحائط المعلقة خلف المكتب إذ عثروا بداخلها على غاية ما ينشده ضابط المخابرات وهو جهاز لاسلكى وضع بجوار تروس الساعة والبطارية وغطيت جميعها بغطاء من البلاستيك ذهبى اللون ليطابق لون الساعة .. وبدا واضحا أنه جهاز حديث ، فتم تصويره بواسطة كاميرا خاصة ، ثم استمر البحث عن أشياء أخرى فتم العثور على كتاب فرانسواز ساجان الذى كان موضوعا فى درج المكتب المغلق وبداخله ورقة صغيرة عند إحدى الصفحات موضح عليها بعض العلامات بالقلم الرصاص .

– وكان واضحا أن هذا الكتاب يستخدم فى العمليات السرية أو الشفرة .. وفى نفس الدرج عثر على مظروف مستطيل بداخله مبلغ خمسة آلاف دولار أمريكى .. فتم تصوير كل هذه الأشياء ، وخرجت المجموعة قبل عودة فاسيل وزوجته إلى المنزل.. وهكذا نجحت الخطوة الأولى فى خطة المخابرات الحربية والتى كانت تستهدف الحصول على دليل مادى يثبت تورط فاسيل فى العمل لصالح جهاز مخابرات آخر خلاف دولته ، وثبت بما لايدع مجالا للشك أنه عميل لجهاز مخابرات معادٍ .. وبالتالى كان لابد من مواصلة العمل للحصول على المزيد من الدلائل التى تثبت إدانته!!!...

الفريسة والطعم :

لقد ثبت بما لايدع مجالا للشك أن فاسيل يمارس نشاطا سريا ضارا بالأمن القومى بداخل البلاد .. وأنه علاوة على كونه مساعد الملحق العسكرى - أى جاسوس دبلوماسى حسب التعبير الرسمى الشائع .. أو عميل (برخصة) بالتعبير الدارج - فهو عميل لدولة أجنبية أخرى ، ومجند للعمل لصالحها بالأجر بخلاف عمله الأصلى مع دولته !!!...

كان من الممكن إبعاد فاسيل عن البلاد باعتباره شخص غير مرغوب فيه - إلا أن اتخاذ قرار بهذا الخصوص دون وجود دليل مادى ربما يثير أزمة دبلوماسية بين الدولتين ويولد حساسية لاداعى لها .. لذلك كان لزاما أن يتخذ ضده إجراء قانونى بعد إصدار أمر النيابة بتفتيش منزله والعثور على جهاز اللاسلكى الذى تم اكتشافه عند التفتيش السرى ... وهذا إجراء يتطلب بعض الإجراءات العقيمة، ويمكن فى هذه الحالة أن تدافع عنه حكومته ، فتعلن أن هذا الجهاز أو الأدوات التى تم ضبطها هى من ممتلكاتها ... على أن تقوم بعد ذلك بمحاسبته لدى عودته ، وبذلك تفقد المخابرات المصرية فرصة استجوابه ومعرفة حقيقة الدولة التى يعمل لصالحها .. لهذا كان من المهم القبض عليه متلبسا لاستجوابه بمعرفة المخابرات المصرية ، والوقوف على حقيقة عمله ، والمعلومات التى أمكنه الحصول عليها ومصادر هذه المعلومات حتى يمكن تدارك الأمر ، وتغيير الأوضاع والأماكن والخطط التى تسربت إلى العدو ..

كان لابد من الاستمرار فى تنفيذ المخطط المرسوم حتى لاتفقد المخابرات المصرية فرصة ثمينة تمكنها من معرفة مدى خطورة المعلومات التى تسربت .. وحتى يمكنها القبض على فاسيل فى حالة تلبس كاملة وهى مهمة لم تكن سهلة بطبيعة الحال .

– لذلك كان لابد من إدخال شخص عليه من قبل المخابرات حتى يمكنه الإيقاع به واستدراجه إلى مكان يمكنهم من تضييق الخناق عليه وضبطه بسهولة !!..

تضمنت خطة المخابرات المصرية دس أحد ضباطها المدربين وإقامة علاقة صداقة مع فاسيل تحت ساتر مناسب يغرى هذا العميل الذى يعمل لصالح عدة جهات فى آن واحد .. ووقع الاختيار على الرائد جلال لينتحل شخصية ضابط طيار بالقوات الجوية تحت اسم مستعار هو (عادل فرج) وأخذ يتردد على نادى الجزيرة والجلوس فى مدرجات ملاعب التنس .

وذات يوم توجه فاسيل إلى النادى لاصطحاب زوجته للعودة إلى المنزل وجلس على أحد المقاعد القريبة من الملعب حتى تنتهى من التمرين ، وجلس بجواره عادل مرتديا الملابس العسكرية الرمادية اللون الخاصة بضباط القوات الجوية وبادره قائلا :

– إن هذه اللاعبة ممتازة .. لياقتها البدنية عالية ..

– فرد عليه فاسيل : إنها زوجتى .. وفى استطاعتها التغلب علىّ أحيانا إذا أنا تهاونت أمامها ..

تبادل عادل وفاسيل الحديث ، وقدم فاسيل نفسه باعتباره ضابطا يوغوسلافياً .. وقدّم عادل نفسه على أنه ضابط بالقوات الجوية المصرية ..

نجح عادل من أول محاولة فى شد انتباه فاسيل وعمل على كسب صداقته ، مما اعتقد معه فاسيل أنه عثر على ضالته المنشودة !!..

تكررت لقاءات فاسيل مع الرائد عادل عدة مرات فى نادى الجزيرة ثم تطورت إلى دعوات عشاء فى منزل فاسيل تارة ، وتارة أخرى فى أماكن عامة ، وأوضح له عادل أنه أعزب ويقيم مع والده ووالدته بمصر الجديدة ، وأنه يتردد على النادى كثيرا فى أوقات فراغه حيث يعمل فى قاعدة غرب القاهرة الجوية على طريق مصر/ الإسكندرية الصحراوى ، وهى بطبيعة الحال قاعدة كبيرة معروفة لجميع الملحقين الحربيين بالقاهرة ..

زعم الرائد عادل أنه ساخط على الأوضاع داخل القوات الجوية، وقال لفاسيل : إن كل الأمور تعتمد حاليا على الوساطة والمحسوبية ، وأن حقه مهضوم ،كما كان دائم الشكوى من الأحوال المالية والمعيشية، وأن مرتبه لايكفى مصروفاته وهو لذلك لم يتمكن من الزواج حتى الآن ، حيث يستلزم ذلك تدبير شقة وشراء شبكة وتسديد المهر وخلافه .. كما أن والده رجل مسن محال إلى المعاش ويضطر هو فى كثير من الأحيان إلى المساهمة المادية لمساعدة والده ووالدته .. وهكذا أدخل عادل فى روع فاسيل أنه صيد جديد سهل ولن يكلفه مشقة كبيرة فى الحصول على المعلومات منه أو عنه .. وقد تدرب

كثيرا فى بلاده على كيفية الحصول على معلومات من الآخرين .. كما تعلم كيف يصبح خبيرا فى المحافظة على السرية ، ويصنّف العاملين فى وكالة المخابرات اليوغوسلافية بالنسبة لدرجة نجاحهم فى خداع زملائهم والحصول منهم على معلومات .. وقد تدرب كثيرا على ذلك قبل تخرجه ، ومن التمارين القياسية التى يعهد فيها إلى الطالب الجاسوس محاولة الحصول على بعض المعلومات عن زميل له.. ولما كان من المفترض فى المتدرب أن يكون ذا هوية زائفة ، ومتسترا باسم غير اسمه خلال فترة التدريب ، فإن الطريقة المفضلة للحصول على المعلومات المطلوبة هى أن يصادق المتدرب فريسته بغية كسب ثقته وحمله على التخلى عن تحفظه .. ويعطى المتدرب الذى يحصل على معلومات عن زميله درجات عالية، ويعتبر الزميل الذى أمكن استغلاله فاشلا فى الامتحان .. أما من حققوا الهدف من وجهة نظر الرئاسة فهم أفضل من يستطيعون إقناع مسئول أجنبى بخيانة بلاده .. وأن يستغلوا ذلك المسئول رغم إرادته فى كثير من الأحيان !!!...

لم يستخدم فاسيل قدراته وخبراته فى الحصول على معلومات من الرائد عادل الذى كان يدلى من تلقاء نفسه بالمعلومات التى يريدها.. وكان عادل يتظاهر بالسكر من أقل كمية يشربها من المشروبات الروحية .. كما كان يلمح إلى حبه للخمر والنساء..

وجد فاسيل أنه أمام شخص مثالى من السهل تجنيده حسب خبرته العملية ودراساته الأكاديمية .. فالأشخاص الذين يسعى لتجنيدهم

أكثر من غيرهم هم المسئولون الأجانب غير الراضين عن سياسات بلادهم ، ويتطلعون إلى اللجوء لدولة أخرى يطلبون منها الإرشاد والتوجيه .. فمثل هؤلاء يكونون أكثر استعدادا للعمل بتفانٍ وإخلاص عن أولئك الذين يكون هدفهم الأساسى هو الحصول على المال ..

ولاشك أن المال يساعد فى الحصول على المعلومات وعلى الأخص بالنسبة لدول العالم الثالث ومن بينها مصر ، ولكن العميل الذى تستطيع وكالة مخابرات شراءه يشكل هدفا سهلا للخصوم .

– والعميل الذى يعتقد أن ما يفعله يشكل هدفا ساميا لايكون فى الغالب سهل الانقياد لإغراءات وتهديدات أجهزة التجسس فى بلاده.. كما أنه يكون أقل تأثرا بالشعور بالذنب وما يصاحب هذا الشعور من انهيار نفسى كثيرا ما يسبب عرقلة عمل الجاسوس ..

كما أن الأشخاص المسئولين الذين يعيشون حياة الترف وينفقون مبالغ طائلة ولايمكنهم المحافظة على مستوى تلك المعيشة المترفة عن طريق دخلهم العادى ، أو أولئك الذين يعانون من ضعف أمام إغراء النساء أو يتأثرون برجال آخرين ، أو المولعين بالمشروبات الروحية أو تعاطى المخدرات ..

هؤلاء يكونون أكثر عرضة للتجنيد ويسهل انزلاقهم فى هاوية التجسس !!!...

لكل ماسبق توهم فاسيل أن الرائد عادل هدف مثالى من السهل تجنيده لصالح أعمال متعددة بالنسبة لشبكة التجسس التى يديرها

لصالحه ... فأبرق إلى المخابرات الإسرائيلية يخطرهم بما لديه من معلومات عن الرائد عادل ، وأنه فى سبيله إلى تجنيده لصالحه !!!...

كان الرائد الطيار عادل فرج ، شخصية حقيقية، مدون فى سجلات القوات الجوية المصرية حتى عام ١٩٧٢ ، وكان يعمل ضمن أسراب طائرات السوخوى المقاتلة القاذفة ، ووقع له حادث أثناء التدريب وهو مايحدث عادة فى كل دول العالم .. واستشهد نتيجة سقوط طائرته وعدم تمكنه من فتح المظلة نظرا لوجوده قريبا من سطح الأرض .. وقد تكتم الإعلام المصرى نشر هذا الحادث ، ولم يشر إليه المتحدث العسكرى المصرى من قريب أو بعيد حتى لايؤثر ذلك فى الروح المعنوية للقوات الجوية والقوات المسلحة المصرية ..

كان جلال ضابط المخابرات الحربية ينتحل شخصية الساتر بطريقة ممتازة بعد أن قام بدراسة وافية لكل جوانب حياة الشهيد الرائد طيار عادل فرج .. وكان من الضرورى استخدام اسم حقيقى من سجلات القوات الجوية حتى إذا ما قامت إسرائيل أو غيرها بالكشف عليه تأكد لها وجوده .

من المعروف أن إسرائيل كانت قد استولت إبان حرب يونيو ١٩٦٧ على وثائق هامة عن القوات المسلحة المصرية والقواعد الجوية والعسكرية فى سيناء !!..

أرسل فاسيل خطابا عاجلا إلى المخابرات الإسرائيلية بالحبر السرى يزف إليهم بشرى عثوره على الفريسة الجديدة .. وأمدهم ببيانات

الضابط وجهة عمله بالقوات الجوية مع ملخص عن حياته وحالته المادية والاجتماعية .. وطلب إفادته بالرأى نحو تجنيده للعمل لصالحهم تحت ساتر العمل معه هو (أى المخابرات اليوغوسلافية)، وأضاف أن هذا الطيار على استعداد لتنفيذ أى أمر فى سبيل المال .. وذلك من وجهة نظره الشخصية بالطبع !!.. ولكن رد المخابرات الإسرائيلية على خطابه جاء مخيبا لآماله حيث وصلته برقية بالشفرة بعد عدة أيام من إرساله خطابه ، وقام بحل رموزها فإذا بها تتضمن تحذيرا له من الشخص دون إبداء أسباب أو أية ملاحظات أخرى ، كما طلبوا منه عدم محاولة تجنيده بصفة قاطعة لا لصالحهم .. ولا لصالحه ـ أى فاسيل ـ .. إلا بأوامر صريحة منهم وطلبوا منه مدوامة الاتصال به للحصول على أى معلومات عسكرية أو مستندات هامة عن طريق الاتصال المباشر به، وإغرائه بالمال والخمر والنساء إن أمكنه ذلك ، وأنهم على استعداد لتحمل كل المصروفات الإضافية .. على أن لا يفاتحه فى العمل المباشر ، أو محاولة عرض التجنيد عليه فى الوقت الراهن ..!!..

لم يستجب فاسيل لرسالة المخابرات الإسرائيلية ، ولم يقتنع بتحذيرهم واعتبر ما ورد بالرسالة تدخلا فى شئونه وحجرا على تصرفاته واستهانة بمعلوماته وقدراته !!!... فقد كان هدفه من إبلاغهم بهذه المعلومات عن العميل الجديد هو الإيحاء أنه يعمل بجدية لصالحهم على أمل تزويده ، ببعض المال !!..

عندما شعر فاسيل أن رد المخابرات الإسرائيلية على رسالته فيه إهانة له ، قرر المضى فى علاقته مع الرائد عادل والاستفادة منه لصالحه بقدر الإمكان ضاربا بتحذيرات الموساد عرض الحائط!!!...

غرام الأفاعى :

توطدت أواصر الصداقة بين فاسيل وعادل الذى أصبح يتردد كثيرا على منزل فاسيل بالزمالك .. كما كانا يتقابلان سويا بمفردهما فى النادى .. وأحيانا كانت جوفانكا تشاركهما فى هذه المقابلات مما أثار إعجابها بالرائد عادل وشخصيته المرحة وحديثه الرومانسى الرقيق ، وهى صفات كانت تفتقدها فى زوجها ، وكان الرائد عادل ودودا معها إلى درجة كبيرة ،كما كان كريما سخيا ..

كان عادل يتعمد مغازلة جوفانكا فى حضور زوجها بأسلوب طبيعى وبصوت مرتفع .. وعندما ينفرد بها كان يتحدث إليها بصوت منخفض وبنبرة هادئة مما جذبها نحوه بشدة .. وأصبحت فى حيرة من أمرها .. فهى تواجه هذا الموقف لأول مرة منذ تواجدها بالقاهرة .. إنها خلال الفترة الطويلة التى قضتها فى مصر لم تلمس مثل تلك المعاملة من أى من الأشخاص الذين قابلتهم ولم يتعد الحديث بينهم الأسلوب العادى .. أما عادل فكان يختلف اختلافا كبيرا عن كل هؤلاء !!.

وسألت نفسها : ماذا يريد عادل ؟!!.. هل هو يحبها ويعنى ذلك.. أم أنه يتلاعب بعواطفها لمجرد التسلية خصوصا وأنه كان يكرر هذه التلميحات أمام زوجها ؟!

قررت جوفانكا أن تضع حدا لشكوكها .. فانتهزت أول فرصة جمعتهما وبادرته قائلة :

– ما الذى ترمى إليه من أسلوبك فى التحدث معى والرقة البادية فى نبرات صوتك ؟ .

– فرد عليها عادل : إعجابى الشديد بك .. بكل شىء فيك .

– ولكنى متزوجة !!.. وأنت صديق لزوجى !!..

– وهل يمنعنى من الإعجاب بك أن تكونى متزوجة !!.. أما عن صداقتى لزوجك فأنا لم أخنها .. ولقد سيطرت على مشاعرى ولم أتماد فى إعجابى احتراما لتلك الصداقة .. وأراد عادل أن يحتفظ لنفسه بخط الرجعة فأضاف : أنا لا أخفى شعورى نحوك حتى أمام زوجك لأننى أعتبر نفسى صديقك ..!!..

كان لهذا التعبير وقع سىء على جوفانكا فتجهم وجهها وانصرفت مسرعة ...

كان الرائد عادل يخطط فى البداية لاستمالة جوفانكا إلى جانبه عن طريق افتعال علاقة غرامية معها ، ويستطيع بذلك الحصول منها على معلومات وافية عن فاسيل وعن تحركاته قبل قدومه إلى مصر .. وعن مصدر الأموال التى يصرفها ببذخ لم يسبقه إليه أمثاله من دبلوماسى دول الكتلة الشرقية !! .... كما كان يرمى من وراء هذه العلاقة الغرامية المزعومة إلى تمهيد الطريق لدخول منزل فاسيل فى عدم وجوده حتى يمكنه تفتيش المكان بهدوء ، ومتابعة وجود الأدوات المستخدمة فى التجسس فى نفس أماكنها التى كانت

موجودة بها أثناء عملية التفتيش السرى ، وهو الجهاز اللاسلكى والكتاب الفرنسى.. وكذا النقود التى كانت موجودة فى درج مكتبه، والاطمئنان إلى عدم تغيير أماكنها من آن إلى أخر مما يصعب على جهاز الأمن العثور عليها فى حالة إعادة التفتيش بعد القبض عليه ... فوجئ عادل فى آخر لقاء مع جوفانكا بصدودها رغم إعجابها الشديد به .. لذلك بادر على الفور بتغيير خططه واستراتيجيته مخافة أن تتعقد الأمور ويفتضح أمره ، وبالتالى فشل المهمة المكلف بها ..

أحست جوفانكا أن عادل غير جاد فى مشاعره حيالها ، وبحاسة المرأة الكامنة بداخلها ، أدركت أنه يهدف إلى غرض آخر أو الوصول إلى سر معين لكنها لم تصارح زوجها بتلك الشكوك .. ولما رجح لديها عدم اطمئنانها لتصرفات عادل بدأت تلمح لزوجها أنها لا تستريح له ، وتطالبه بالحذر منه !!..

لما شعر عادل بفتور جوفانكا وقرأ فى عينيها علامات عدم الرضا ونذر الغدر .. قرر الابتعاد لفترة قام خلالها بإعداد تقرير وافٍ إلى رئاسته ضمنه هذه التطورات الأخيرة بدءا من تقربه إلى جوفانكا ومحاولة استمالتها والإيقاع بها إلى أن شعر هو بفتور معاملتها له وصدها إياه !!..

تم وضع هذه المعلومات أمام لجنة المخابرات التى أعادت النظر فى موقف الرائد عادل ، وعلاقته مع فاسيل ، فتبين لها أن الأمور أصبحت تسير فى غير الطريق المرسوم .. وربما أفسدت جوفانكا الخطة

الموضوعة نهائيا .. لذلك رأت اللجنة أن فكرة استمالة جوفانكا عن طريق الرائد عادل ربما كانت غير ملائمة - أو ربما لم ينفذها عادل كما كان يجب .. أو ربما لم يكن مقنعا فى تصرفاته مع زوجة مساعد الملحق .. ومن المحتمل أن تكون الدراسة التى تمت عن شخصية هذه المرأة دراسة غير وافية .. وأنه لم يتم فهم وتقييم شخصيتها على أسس علمية وعملية !!!...

كان لابد من وقفة لإعادة تقييم الموقف ومراجعة كل التصرفات وإعادة الاستماع إلى شرائط التسجيل التى تمت للقاءات عادل مع جوفانكا بمفردهما أو فى وجود زوجها حتى يمكن الوصول الى الخطأ الذى ارتكبه مندوب المخابرات والذى تسبب فى ارتياب جوفانكا..

لذلك رؤى أن يبتعد عادل عن فاسيل لفترة .. وإذا ما اتصل به الأخير لسؤاله عن السبب فى انقطاعه عن مقابلته ، فعليه أن يتعلل بانشغاله فى العمل أو النوبتجيات إلى أن يعاد وضع خطة أخرى مناسبة..

وفى النهاية قررت اللجنة إعادة الاتصال بفاسيل فقط ، والعمل معه شخصيا بواسطة الرائد عادل .. وقطع الاتصالات العائلية معه .. وأن تكون مقابلاتهما شخصية فقط وبعيدة عن منزل فاسيل تلافيا لوجود جوفانكا !!!.. كما قررت سرعة تنفيذ الخطة الجديدة للتعجيل بالإيقاع به .. وهكذا بدأ العد التنازلى للسير فى إجراءات التنفيذ ...

النهاية المحتومة :

كانت المخابرات الحربية تستعجل القبض على فاسيل بعد أن تأكد لها نشاطه المريب .. وكانت الأيام تسير ببطء شديد بالنسبة لأفراد الجهاز القائمين على مراقبة أعماله وتحركاته .. وكانوا يترقبون اللحظة الحاسمة التى يتم فيها ضبطه وإسدال الستار على المشهد الأخير للدور الذى يقوم به هذا الجاسوس الذى يسعى فى البلاد فسادا ، ويتحرك بحرية تامة متاجرا بما لديه من معلومات لكل من يستطيع أن يدفع الثمن !!!...

اقترب الموعد المحدد لبدء المعركة الحاسمة فى شهر أكتوبر المجيد من عام ١٩٧٣ .

كانت الأعصاب متوترة وتزداد اضطرابا مع مرور الوقت .. وعلى الجانب الآخر كان فاسيل يسير فى مخططه الإجرامى بكل هدوء ، ويحاول جاهدا جمع أى معلومات عن القوات المصرية ويرسل تقاريره إلى رئاسته فى بلجراد ، وخطاباته السرية إلى المخابرات الإسرائيلية ، وتقاريره المترجمة الى المخابرات الفرنسية عن طريق الرائد بيير ..

حانت اللحظة المرتقبة لتنفيذ الخطة التى دبرتها المخابرات المصرية بكل دقة ووقع فاسيل فى الفخ ...

اتصل الرائد عادل بفاسيل تليفونيا بعد فترة انقطاع غير قصيرة .. واتفقا على اللقاء فى النادى بعد الظهر .. وبالرغم من ملاحظة فاسيل لمغازلة عادل لزوجته إلا أنه كان يتغاضى عن هذا السلوك فى سبيل الاستفادة من المعلومات التى يمكنه الحصول عليها منه ..

نتيجة لهذا التغاضى من فاسيل عن تصرفات عادل فترت العلاقة بينه وبين جوفانكا ؛ إذ أنها عندما ألمحت له أن عادل يتجاوز حدود اللياقة معها كزوجة ، لم يبد الأخير أى غيرة.. بل دافع عنه قائلا: إن هذه عادات المصريين والعرب عموما .. فهم ينظرن إلى أى امرأة نظرة نهم، ويفتقدون الإشباع الجنسى منذ طفولتهم .. ويتلذذون بالحديث إلى أى امرأة غريبة .. إلا أنهم يقفون عند حدودهم إن لم يجدوا استجابة منها ..

قالت جوفانكا :

– لكنه يتمادى فى تلميحاته رغم عدم تجاوبى معه .. وماذا أفعل إذا هو لم يقف عند حده ؟!!..

– لاشىء .. عليك مجاراته فى الحديث ولن تخسرى شيئا .. ولاتنسى أننى أستفيد من هذا الطيار فى أعمالى وأحصل منه على معلومات قيمة أقدمها إلى السفارة !!..

لاذت جوفانكا بالصمت ولم تعلق على إجابة زوجها .. وأسقطته من نظرها .. فهى لم تقتنع بوجهة نظره .. بل ولم تحترمها !!!...

بالرغم من دفاع فاسيل عن عادل ورغم تبريره لتصرفاته مع جوفانكا إلا أنه فى قرارة نفسه كان قلقا .. وبداخله شعور مشوب بالحذر حيال هذا الشخص ، وفتر حماسه نحو الاتصال به وتوطيد العلاقة بينهما خصيصا بعد تحذيرات الموساد التى لم يعرها اهتماما فى بادئ الأمر ، ثم أعاد التفكير فيها محاولا معرفة أسبابها .. ومع ذلك فقد ذهب فاسيل إلى موعد اللقاء فى النادى وتقابل مع عادل

الذى كان هو الآخر على غير طبيعته .. وعندما سأله فاسيل عن السبب أخبره أنه يعانى من ضائقة مالية ، وأنه طلب من رئاسته نقله إلى قاعدة جوية خارج القاهرة كى يستفيد من بدل الاغتراب الذى يمنح للضابط العامل خارج القاهرة مما يزيد معه مرتبه إلى الضعف!!..

وقد تأثر فاسيل لهذا الخبر لفقده مصدرا هاما من مصادر المعلومات.. وفى نفس الوقت أحس بنوع من الارتياح لابتعاد عادل الذى أصبح وجوده مصدر مشاكل عائلية بينه وبين زوجته ، وهو فى أشد الحاجة إلى تلافيها ..

استغرق فاسيل فى التفكير .. وبادره عادل قائلا : إنه بعد أن تقدم يطلب النقل إلى قائده المباشر ، طلب منحه أجازة لمدة يومين ليستريح قليلا وأنه سيبدأ إجازته اعتبارا من يوم السبت ٧ يوليو سنة ١٩٧٣ .. إلا أنه سيبدأ هذه الإجازة اعتبارا من صباح الخميس ٥ يوليو حيث إنه كلف بمأمورية بسيطة إلى قيادة القوات الجوية صباح هذا اليوم – الخميس– لتسليم بعض الخرائط والكروكيات ، وهى مأمورية لن تستغرق سوى نصف ساعة ، ثم يقوم باستعجال طلب نقله ، وبعد ذلك يكون حرا ويبدأ إجازته حتى يوم الاثنين .. وهنا سأله فاسيل :

– معنى ذلك أنك لن تذهب إلى القاعدة يوم الخميس !!..

– نعم .. سأخرج من المنزل وأتوجه إلى القيادة مباشرة لتسليم الخرائط ثم أعود لتغيير ملابسى وأبدأ إجازتى ولابد أن أراك خلال تلك الإجازة ..

– إذا فأنت ستستلم هذه الخرائط يوم الأربعاء ثم تعود بها إلى منزلك وتحتفظ بها حتى صباح الخميس .

– طبعا .. وأضاف عادل قائلا .. وأنا أرجو أن نلتقى خلال تلك الإجازة القصيرة لكى أودعك قبل تنفيذ النقل إلى القاعدة الأخرى .. وربما لا تمكننى الظروف من مقابلتك بعد ذلك أو حتى مجرد الذهاب إلى النادى !!..

شدت هذه الأنباء انتباه فاسيل ، وأن هذه هى الفرصة الأخيرة لحصوله على معلومات عن القوات الجوية المصرية من خلال هذه الخرائط والكروكيات ، فقرر انتهاز هذه الفرصة الذهبية خصوصا وأن عادل يعانى من ضائقة مالية – كما أوعز إليه – وقرر أن يعرض عليه العمل مباشرة ..

كان هذا القرار من أخطر القرارات التى يمكن أن يتخذها شخص فى مركز فاسيل ، وفى ظروفه .. وكان يجب عليه الرجوع إلى رئاسته فى السفارة فى ذلك الشأن ، وأن يحصل على موافقة (أسياده) فى الموساد والمخابرات الفرنسية قبل الإقدام على مثل هذا الأمر .. ولكن فاسيل الذى كانت تتنازعه عدة عوامل منها حبه الشديد للمال، بالإضافة إلى قرب انقطاع اتصاله بالرائد عادل ورغبته فى الحصول منه على أى معلومات ممكنة .. كما أن مدة انتدابه قد قاربت على الانتهاء ليعود إلى بلاده لفترة قد تطول أو تقصر إلى أن يتقرر سفره مرة أخرى إلى بلد آخر بمنطقة الشرق الأوسط .. وهو

لذلك يريد أن يظفر بصفقة كبيرة وهامة تعود عليه بالمنفعة المادية ، وتزكيه لدى رئاسته فى بلجراد !!!...

ومما شجعه على اتخاذ قراره المتسرع وغير المدروس اعتقاده أنه دبلوماسى لديه حصانة دبلوماسية لن يضيره أن يكتشف أمره ويتم ترحيله إلى بلاده .. فهو عائد إلى بلاده .. عائد إلى وطنه بعد انتهاء فترة انتدابه .. وغرته الأمانى بأنه سيعتبر بطلا فى نظر رؤسائه ، وأمام جهاز المخابرات الذى يعمل له !!..

كما زاده إصرارا على تنفيذ خطته ، ماصورته له أوهامه من أن عادل إنما هو كنز ثمين ساقته إليه الظروف ، ومن الغباء أن يرفض هذه النعمة التى هبطت من السماء .. ويجب عليه استغلالها فهى ضربة حظ ربما لن تتكرر مرة أخرى ..

وبعد تفكير عميق لم يستغرق طويلا اتخذ فاسيل قراره منفردا بعرض التجنيد على عادل – فبادره قائلا :

– ولكن ماذا تحوى هذه الخرائط والكروكيات ؟ .. وهل يستدعى الأمر أن يقوم بتسليمها ضابط طيار شخصيا برتبة رائد إلى رئاسته ؟؟!!..

– طبعا ، لأنها خرائط عمليات وبها معلومات هامة جدا .. ويجب أن يقوم بتسليمها ضابط ، وقد عرض علىّ قائد القاعدة أن أسلمها بنفسى خدمة لى حتى أستفيد بباقى اليوم ضمن الإجازة التى طلبتها!!..

وهل يمكنني الاطلاع على هذه الخرائط ؟؟ .. قالها فاسيل بصوت منخفض متظاهرا باللامبالاة خشية رد الفعل الذى قد تسببه لعادل لدى سماعه هذا العرض الخطير !!!...

– هل تريد أن تحطم مستقبلي ؟.. معقول أن أسلم مثل هذه الأوراق السرية إلى شخص أجنبى أو لأى شخص أيا كان ؟؟ .. ثم لماذا تريد الاطلاع عليها ؟؟

– إنها مجرد هواية خاصة .. فأنا مولع بالطيران .. ورغم معلوماتى عن الخرائط الأرضية فى جميع المجالات إلا أننى لم أتعامل إطلاقا مع خرائط أو كروكيات جوية لأننى لست طيارا .. إنما أريد أن أرى منظرها ليس إلا ..

– ضحك عادل وقال : وكم تدفع ثمنا لذلك ؟ .. قالها بأسلوب المزاح لجس النبض ومعرفة رد فعلها بالنسبة لفاسيل ..

– بأى مبلغ تطلبه .. وعموما فسأعطيك ألف دولار أمريكى .. ليس من أجل اطلاعى على هذه الخرائط .. ولكنى أريد مساعدتك على حل مشاكلك المادية التى أخبرتنى بها .. وبهذه المناسبة فقد كنت أنوى إعطاءك هذا المبلغ حتى قبل أن تخبرنى بمأموريتك التى كلفتك بها قيادتك لأننى شعرت فعلا أنك فى ضائقة مالية .. فنحن أصدقاء ومن واجبنا أن يساعد بعضنا البعض !!

– وهل تظن أن ألف دولار تكفى لاطلاعك على وثائق لها تلك الخطورة ؟ قالها عادل بأسلوب الجد حتى يوحى إلى فاسيل أنه موافق على اطلاعه من حيث المبدأ ولكنه يطمع فى زيادة المبلغ !...

وقع فاسيل فى الشرك الذى نصب له ، وأبدى اهتمامه الشديد فقال :

– نجعلها ١٥٠٠ دولار كدفعة أولى .. وبعد ذلك أعطيك مبلغ ٥٠٠ أخرى بعد أسبوعين ..

– وهو كذلك .. أنا أوافق !!..

– شجع هذا الرد فاسيل .. فأردف قائلا : ولكن بشرط !!..

– وماهو ؟..

– أن تسلمنى الخرائط وتتركها معى لمدة ساعة واحدة ثم أعيدها إليك لتقوم بتسليمها إلى قيادتك فى اليوم التالى !!!...

– أنت تريد تصويرها إذا ؟!!

– هو كذلك .. قالها فاسيل غير عابئ وبجرأة إذ خيل له أنه قد نجح فى مهمة عرض التجنيد على الرائد عادل .. وأنه قد أمسك بزمام الموقف ..

– وبادره عادل قائلا : وأنا أيضا لى شرط !!..

– وماهو هذا الشرط ؟..

– أن تسلمنى المبلغ عند استلامك الخرائط وليس عند إعادتها إلىّ بعد تصويرها !!

– موافق .. وليكن موعدنا فى الساعة الثامنة من مساء باكر الأربعاء أمام حديقة الأسماك بالزمالك .. على أن تحضر بسيارتك الخاصة .. ثم يتم لقاؤنا ثانية بعد ساعة واحدة بالضبط أمام كازينو الشجرة على كورنيش النيل لأعيد الخرائط إليك ..

- قال عادل : ولكنى أعتقد أن يوغوسلافيا لا تهتم بمثل هذه المعلومات العسكرية لأنها دولة صديقة .. وهناك تبادل معلومات بيننا وبينكم .. كما أنكم تساعدونا كثيرا فى النواحى العسكرية .. فما هو سبب اهتمامك بهذه الخرائط إلى هذه الدرجة ؟.. أم تراك تعمل لحساب دولة أخرى !!..؟؟..

- إننى كمساعد ملحق مكلف بجمع أى معلومات عسكرية .. ولا شأن لى إن كانت هذه المعلومات تهم دولتى أو لا .. فأنا من واجبى العمل ، وعليهم مهمة الفحص والتقدير لأهمية هذه المعلومات وبذلك أكون قد أديت ما أنا مكلف به .

قال عادل : ولكننى أخشى أن تصل هذه المعلومات والخرائط إلى جهة أخرى مثل إسرائيل مثلا .. وهى دولة معادية ، ونحن فى حالة حرب معها وأنا لا أستطيع أن أغامر بتسليمك هذه الخرائط لتصل إلى المخابرات الإسرائيلية حتى لو دفعت لى ملايين الدولارات !!..

- فرد عليه فاسيل :

اطمئن .. أنا لا أعمل لصالح جهاز مخابرات آخر خلاف المخابرات اليوغوسلافية .. وأقدر حرصك الشديد على عدم تسرب هذه المعلومات ، وأننى أتعامل معك بحرية حيث أعلم مدى رابطة الصداقة التى تربط بين دولتينا من جهة .. وبينى وبينك شخصيا من جهة أخرى ..

- أجابه عادل : طبعا .. لذلك فأنا ليس لدى مانع من العمل معك .. ولكن حساسيتى شديدة ضد أجهزة المخابرات الإسرائيلية والأمريكية .. والغربية بصفة عامة ..

- لاتخش شيئا .. وكن مطمئنا جدا .. ولا تنس موعدنا باكر فى الساعة الثامنة مساء ..

القبض والتفتيش :

كانت لقاءات عادل وفاسيل مسجلة بواسطة الأجهزة الفنية للمخابرات بالصوت والصورة .. وكان التركيز مشددا على هذه المقابلة الأخيرة والهامة .. حيث كانت الخطوة النهائية فى متابعة هذا الجاسوس والمسمار الأخير فى نعشه !!..

وبعد انتهاء لقائهما الهام المثير بدأت جميع الأجهزة فى العمل على وجه السرعة حيث اقتربت الساعة الحاسمة المرتقبة .. دنت ساعة الصفر مع اقتراب الساعة الثامنة من مساء الأربعاء الموافق الرابع من شهر يوليو عام ١٩٧٣ ..

كانت كل الأجهزة المختصة فى سباق مع الزمن لإعداد المذكرات والمستندات ...

وعرض الموضوع على الجهات المختصة لاستصدار أوامر القبض والتفتيش !!.. وكان لابد من إخطار الخارجية المصرية لتلافى الأخطاء التى تتعارض مع الأصول الدبلوماسية

- وقد تمت كل هذه الإجراءات والاستعدادات فى زمن قياسى .. وحانت ساعة الصفر والكل على أهبة الاستعداد !!!...

تم تزويد الرائد عادل بجهاز تسجيل لاسلكى كما هو متبع .. وتم تزويده ببعض الخرائط الجوية والكروكيات الخاصة بقاعدة غرب القاهرة الجوية بعد عرضها على المدعى العام العسكرى لتسجيلها .. ثم استقل عادل سيارته إلى مكان المقابلة أمام حديقة الأسماك بالزمالك حيث أوقف سيارته وترجل منها ووقف على مسافة ثلاثة أمتار من مكان وقوفها تاركا بداخلها حقيبة صغيرة بداخلها الأوراق والخرائط .

– وفى نفس الوقت كان هناك ثلاث مجموعات من المخابرات الحربية تحاصر منطقة اللقاء :

– مجموعة تضم قائد العملية ومعه عضو من النيابة وضابطين من جهاز مكافحة التجسس يقفان فى الجهة المقابلة للحديقة .. وعلى بعد مائة متر من سيارة الرائد عادل من الجهة الأخرى .. وسيارة ثانية بداخلها أربعة ضباط آخرين بالقرب منهم .

– أما المجموعة الثالثة فكانت مترجلة وتتكون من فردين وفتاتين من مندوبات المخابرات يتجولون ببطء بجوار سيارة عادل تحت ساتر المقابلات الغرامية ..

فى الساعة الثامنة وعشر دقائق وصل فاسيل قادما من الزمالك بسيارته الخاصة رقم ٥٩/٢١٣٩ هيئة سياسية ، وأوقفها مقابل سيارة عادل على الجانب الآخر من الطريق وأشار إليه للحضور .. ففتح عادل باب سيارته وتناول الحقيبة ثم عبر الشارع حيث تقف سيارة فاسيل الذى طلب منه الركوب وترك سيارته فى مكانها ..

ركب عادل بجوار فاسيل الذى انطلق بالسيارة فى شارع الجبلاية فى اتجاه النادى الأهلى .. وأثناء سيرهما سأله فاسيل : هل الخرائط موجودة معك فى الحقيبة ؟.. فرد عليه عادل بالإيجاب .. فطلب منه وضعها على الكنبة الخلفية وأنه سيقف على بعد ٥٠٠ متر ثم يغادر السيارة ويعود مترجلا إلى مكان سيارته حيث يتقابلان مرة أخرى فى المكان المحدد عند كازينو الشجرة بعد ساعة ..

كان حديثهما مسموعا فى سيارة القيادة القريبة منهما .. وعند معرفة خطة فاسيل .. وفى هذه اللحظة الحاسمة صدرت الأوامر إلى جميع الأطقم بمحاصرة سيارة فاسيل والقبض عليه لحظة وقوفه ونزول عادل من السيارة ..

ظل فاسيل يقود سيارته حتى وصل إلى الباب الرئيسى للنادى الأهلى المطل على شارع الجبلاية حيث أوقف السيارة وطلب من عادل النزول بسرعة ..

– ولكن عادل بخبرة الضابط المحنك المدرب تلكأ قليلا بحجة سؤاله عن موعد اللقاء التالى .. وهل من الممكن تأخير ساعة اللقاء لتكون فى التاسعة والنصف بدلا من التاسعة حتى يتمكن فاسيل من تصوير الأوراق والحضور إلى المكان المتفق عليه ..

– وكان يرمى من وراء ذلك إلى إعطاء الفرصة لباقى زملائه للاقتراب استعدادا لعملية القبض .. فوافق فاسيل على تأخير ساعة اللقاء .. ونزل عادل من السيارة وانحنى قليلا وهو ممسك بالباب الأيمن لتحية فاسيل تحية الوداع !!!...

في هذه اللحظة تحركت سيارتان من المخابرات الحربية حاصرت سيارة فاسيل من الأمام والجنب وطلبوا منه النزول بعد أن أبرزوا له بطاقاتهم الشخصية شاهرين أسلحتهم صوبه ..!!.

ذهل فاسيل وحاول يائسا إغلاق النوافذ والأبواب وامتنع عن النزول من السيارة الدبلوماسية ، قائلا إنه يتمتع بالحصانة الدبلوماسية ، وتثبت بعجلة القيادة في محاولة لمقاومة إخراجه .. ولكن أفراد القوة تمكنوا من فتح باب السيارة وإخراجه بالرغم من محاولاته المستميتة للمقاومة ، وأخذ يهذى بكلمات غير مفهومة باللغة اليوغوسلافية وسط ذهول المارة الذين تجمهروا أمام باب النادى الأهلى بدافع الفضول لمعرفة ما يدور ، وقد ظنوا أنه تصوير لأحد الأفلام البوليسية!!..

تم نقل فاسيل إلى إحدى سيارات القوة التى توجهت به إلى مبنى المخابرات .. وتولى أحد الضباط قيادة سيارة فاسيل لوضعها فى مكان قريب بعيداً عن شارع الجبلاية لتسهيل حركة المرور..

وفى نفس الوقت الذى تم فيه القبض على فاسيل ، كانت هناك قوه أخرى تداهم منزله بالزمالك حيث وجدوا زوجته جوفانكا بمفردها .. فقاموا بالكشف عن شخصياتهم وقاموا بالقبض عليها ، وتفتيش المنزل وهى عملية لم تستغرق طويلاً حيث كانت القوه تعرفه جيداً وتعرف أماكن أدوات التجسس التى يستخدمها وهى جهاز اللاسلكى الموضوع داخل الساعة وورق الكربون السرى وكتاب الشفرة الفرنسى والمبالغ المالية التى كان يضعها فاسيل فى درج مكتبة ..

وقد قامت القوه بتصوير كل هذه الأشياء مرة أخرى وسط ذهول جوفانكا التى لم تصدق عينيها وهى تشاهد هذه الأشياء التى تخص زوجها لأول مرة .. ثم قام مندوب النيابة بتحريز كل هذه المضبوطات ومن بينها جهاز الراديو الذى كان يستمع بواسطته فاسيل لإشارات المخابرات الإسرائيلية !!! ...

تم اقتياد جوفانكا بعد أن سمح لها قائد القوة باستبدال ملابسها - ولما طلبت الاتصال بالسفارة اليوغوسلافية لإبلاغها بالموضوع لم يسمح لها بذلك وأخبرها قائد المجموعة أن مسألة إبلاغ السفارة هى مسئوليتهم ، وإنها ستكون على علم بالموضوع بعد دقائق .. ثم قاموا بنقلها إلى مبنى النيابة بمدينة نصر لاستجوابها وسؤالها عن ما تعرفه من تورط زوجها فى عمليات التجسس داخل مصر ، والحصول منها على أى معلومات تفيد التحقيق ..

اعترافات مذهله :

بدأ التحقيق مع فاسيل فى مبنى النيابة العسكرية ، وقد تم إحضار مترجم للغة اليوغوسلافية حيث امتنع عن الكلام بأى لغة أخرى خلاف لغته الأصلية بالرغم من إجادته للغة العربية واللغة الفرنسية ..

وفى بداية الاستجواب أصر على حضور أحد مسئولى السفارة ، مرددا أنه دبلوماسى يتمتع بحصانة خاصة. ولايجوز اتخاذ أى إجراء معه إلا فى حضور مندوب من سفارته .. وهنا تدخل الضابط المحقق

وطلب منه الهدوء والتروى قليلا ، وأنه من مصلحته عدم حضور مندوب من السفارة الآن حيث تجمعت ضده أدلة ومعلومات لدى المخابرات الحربية المصرية تكفى لإدانته ليس فقط أمام القانون المصرى ولكنها تدينه أيضا أمام القانونى اليوغوسلافى العسكرى !!!... ثم واجهه بكم المعلومات المتوفرة لدى أجهزة الأمن عن تحركاته المشبوهة.. وجهاز اللاسلكى الذى تم ضبطه فى منزله والخاص بالمخابرات الإسرائيلية .. كما أخبره باتصالاته مع الرائد الفرنسى بيير .. وكذا مندوبى الموساد ومن بينهم المدعو ريتشارد الذى غادر البلاد بعد أن قابله فى مطعم الفندق الشهير .. وأخبره أنه على استعداد لعقد صفقة عادلة معه إن هو تعاون مع المحققين وأدلى بكل اتصالاته المشبوهة ، وعلاقاته مع أجهزة المخابرات الأخرى وعلى رأسها الموساد ، وكيفية تجنيده للعمل لصالحهم وعن وسيلة السيطرة والتمويل والاتصال ... الخ .. وكذا كافة المعلومات العسكرية التى أدلى لهم بها عن القوات المسلحة المصرية ، وعلاقاته مع المخابرات الفرنسية والطريقة التى جند بها .. ووسيلة السيطرة والتمويل .. الخ .

– وأن يدلى بكل معلوماته عن كل من تعاون معهم سواء أثناء تواجده فى لبنان أو بعد وصوله إلى القاهرة وعلى الأخص مصادره فى جمع المعلومات .. وفى مقابل ذلك سوف لا تفضى المخابرات المصرية بأى من تلك الأسرار إلى السفارة اليوغوسلافية عند إبلاغها بالقبض عليه .. وبذلك يكون موقفه أمام رئاسته سليما .. بل يأخذ صفة الشهيد الذى ضحى من أجل وطنه وأخلص فى عمله !!.. أما فى

حالة رفضه التعاون مع التحقيق فسوف يتم إبلاغ رئاسته بكل اتصالاته المشبوهة ، وعلاقاته المريبة مع أجهزة المخابرات الأخرى ، وسقوطه فى هاوية الخيانة ليس لدولة عربية فقط وهى مصر .. ولكن أيضا خيانته لوطنه بالعمل لصالح جهات أجنبية معادية له، وأنه أدلى إليهم بمعلومات تضر بأمن وسلامة بلاده !!!...

هدأ فاسيل قليلا .. وبدأ يفكر فى هذا العرض الذى عرضه عليه ضابط التحقيق .. ولم يستغرق تفكيره وقتا طويلا.. حيث لم يكن أمامه مخرجا من هذا المأزق سوى قبوله لهذا العرض بعد أن تأكد له أن المخابرات المصرية لديها أدلة تدينه بشدة أمام دولته !!!...حينئذ قال:

– أوافق بشرط أن لا تعرف زوجتى شيئا هى الأخرى عن هذه التصرفات !!..

– لكن زوجتك قد شاهدت أدوات التجسس التى زودتك بها المخابرات الإسرائيلية عند تفتيش منزلك ..

– سأتولى أنا التصرف فى ذلك الخصوص .. ولكنى أرجوكم ألا تخبروها بأعمالى الأخرى ..

– وهوكذلك ..

هكذا تمت الصفقة وأدلى فاسيل بكل ما لديه من معلومات منذ ولادته ونشاطه فى بيروت وكيفية تجنيده عن طريق أوديت وكل شىء يعرفه عنها ، كما أدلى باعترافات خطيرة عن علاقته بالموساد والمعلومات التى أمدهم بها عن مصر ...

كما أدلى باعترافات عن علاقته بالمخابرات الفرنسية والمعلومات التى أخبرهم بها وعن طريقة تعامله معهم .. وكشف فاسيل عن خبايا كثيرة ونقاط هامة أفادت كثيرا جهاز مكافحة التجسس بالمخابرات الحربية ..

عندئذ كان لابد من إبلاغ السفارة اليوغوسلافية بالقاهرة عن طريق وزارة الخارجية المصرية .. وبعد فترة وصل مندوب من قبل السفارة لاستلام فاسيل ومعه قرار بإبعاده عن البلاد خلال ٤٨ ساعة.

إزاء ذلك كان لابد من أن تقوم وزارة الخارجية المصرية بإرسال مذكرة رسمية إلى الخارجية اليوغوسلافية بالأعمال والمخالفات التى ارتكبها مساعد الملحق اليوغوسلافى بالقاهرة ، والتى دعت إلى حتمية القبض عليه وطرده من البلاد ..

تم إعداد مذكرة لم تتضمن أى معلومة عن اتصالاته بالمخابرات الإسرائيلية أو الفرنسية وأرسلت إلى وزارة الخارجية اليوغوسلافية .. ولكن بعد مضى أسبوع واحد من تاريخ ترحيل فاسيل وزوجته .. وصل إلى القاهرة مندوب من المخابرات اليوغوسلافية لإعادة التحقيق فى أسباب طرد فاسيل ، حيث أدلت جوفانكا بعد عودتها إلى يوغوسلافيا بتفاصيل كثيرة إلى المخابرات منها قصة جهاز اللاسلكى الذى عثر عليه فى داخل ساعة الحائط وأفادت أنها كانت تعتقد أن فاسيل قد زود بهذا الجهاز من قبل دولته أو رئاسته .. ولم تمكنها سلطات بلجراد من لقاء زوجها إلى أن تم استجوابه بمعرفتهم .. وانكشف أمره أمام رئاسته ، وبذلك توصلت المخابرات اليوغوسلافية

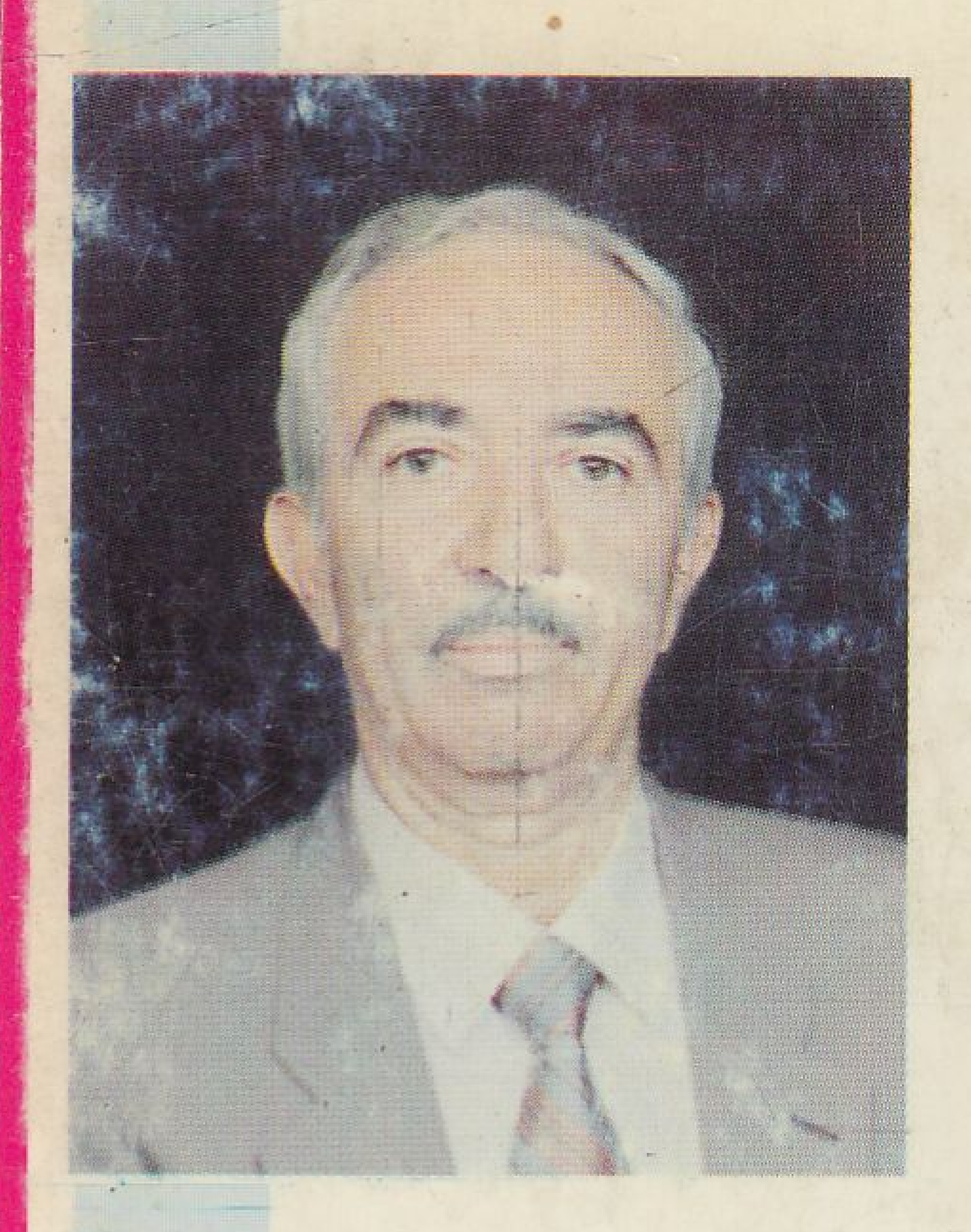
إلى الجاسوس الذى أدلى إلى إسرائيل بمعلومات هامة عن بلاده ومعسكرات التدريب بها مما تسبب فى بعض عمليات التخريب الخطيرة ...

هكذا تمت محاكمته بتهمة الخيانة العظمى لبلاده ، وأرسلت السلطات اليوغوسلافية بعد ذلك خطاب شكر إلى المخابرات المصرية لتمكنها من إماطة اللثام عن هذا الضابط اللغز .. وانتهت بذلك قصة جاسوس الشرق الذى سقط على أرض الفراعنة .

رقم الإيداع ١٩٨٠/٩٦

I.S.B.N 977-264-390-1

مطابع زمزم – مهندس يوسف عز العاشر من رمضان



جاسوس من الصرب

قصة من ملفات المخابرات

ضمن سلسلة قصص من أعمال المؤلف ... وهى قصة واقعية لجاسوس محترف تعلم فنون التجسس وتدرب فى بلاده، ليكون أحد مصادرها فى جمع المعلومات تحت ستار دبلوماسى... ولكنه مع مرور الوقت وبدلا من أن يحترف المهنة لصالح دولته احتكر التجسس لصالحه.. وكون لنفسه وكالة خاصة لبيع المعلومات لمن يدفع الثمن، وكانت أرض الفراعنة هى المحطة النهائية لقطار الخيانة الذى كان يقوده بسرعة جنونية!!.

وكان نجاح المخابرات المصرية فى القبض على هذا الجاسوس هو أحد الركائز الهامة التى ساعدت على انتصارنا العظيم فى أكتوبر المجيد من عام ١٩٧٣.

فؤاد حسين